آمنون كابليوك

تحقيق حول مذبحة صبرا وشاتيلا



ترجمة منى عبد الله

تقديم محجوب عمر

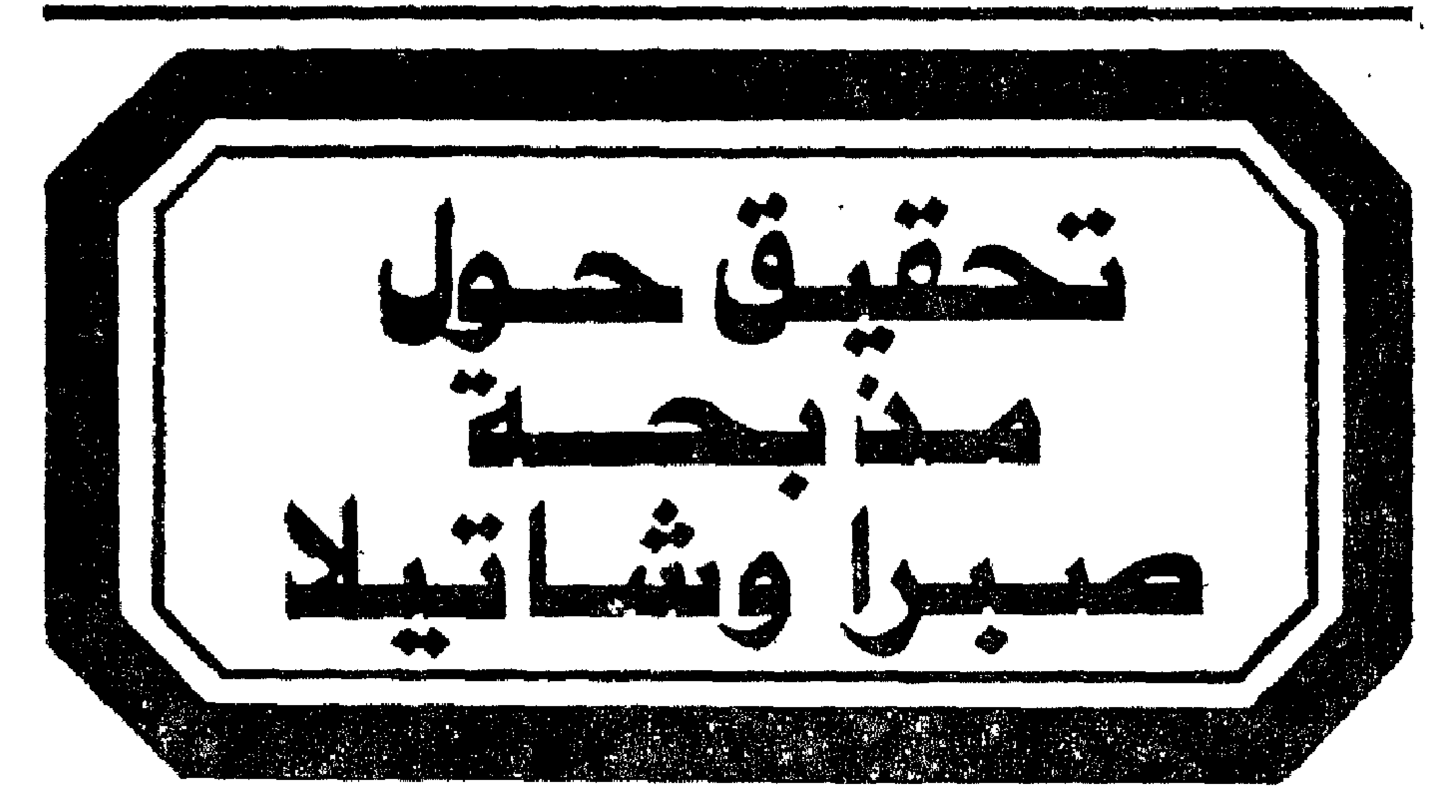


إهـــــــداء٢٠٠٨

السيدة / نعم الباز

جمهورية مصر العربية

آمنون كابليوك



ترجمة منى عبد الله

تقديم محجوب عمر



٦٠ شارع القصر العيني ـ أمام روز اليوسف ـ القاهرة
تليفون : ٢٧٠٦٦ ـ ٢٧٤٨٣

مقدمـة

المذبحـة :

منذ عام تقريبا بدأت مذبحة صبرا وشاتيلا .. لم تبدأ فى يوم١٩٨٢/٩/١٦ كما هو مذكور فى الوثائق والتحقيقات ، وانما بدأت عصر يوم ١٩٨٢/٦/٤ . كان اليوم يوم جمعه . وكان الناس فى مخيم شاتيلا وحى صبرا قد بـكروا جدا فى الخروج من المنطقة كلها توقعا لغارات جوية اسرائيلية على « المخيمين » بعد ان سمعوا انباء اطلاق النار على سفير اسرائيل فى لندن قبل ليلة .

وبالرغم من أن الجميع شارك فى الجدل الذى دار حول اجهزة الراديو والتليفزيون فى الليلة الفائتة ، وبالرغم من انقسام الرأى حول احتمالات تعرض « المخيمين » لغارات اسرائيلية انتقامية الى متفائل ومتشائم : المتفائل يتوقع الضرب بعيدا فى الجنوب والمتشائم يتوقعها قريبة فى حى الفاكهانى الملاصق ؛ الا أن الغالبية فضلت ، بالخبرة والغريزة ، النزوح المبكر الى خارج المنطقة.

وبالفعل جاءت الطائرات فى الثالثة والربع عصرا تقريبا وصبت حمما من القـذائف على جانب من الاستاد الرياضى المعـروف باسم المدينة الرياضية والذى يقع على «حدود» منطقة صبرا ومخيم شاتيلا ، بل ان بعض الاكواخ المنتمية الى هذين المكانين تلاصق سوره الجنوبى .

توالت الغارات الجوية على « المدينة الرياضية » يومها لأكثر من ساعة، وتكررت بعـد ذلك . وفى كل مرة كانت اشلاء المنازل الصغيرة الترببة التى بنيت بأيدى أصحابها غالبا تتناثر غبارا فى الهواء بينما اندفع من تبقى من سكانها اما الى خارج المنطقة تماما أو الى داخل « المعمعة » بحثا عن الابناء والجيران الذين كانوا يعملون وقتئذ داخل المدينة الرياضية أو لجأوا اليها ظنا منهم أنها ليست هدفا . وسقط من بين سكان صبرا وشاتيلا فى اليوم الاول العشرات بين شهيد وجريح . وكما سيحـدث فى الفصل الاخـير شارك العاملون بالخدمات الطبية فى قائمة الضحايا ، فقـد اندفعت سـيارات

الاسعاف نحو الاماكن التى قصفت لاغاثة المصابين فعادت الطائرات الاسرائيلية وقصفت المكان والسيارات وتطايرت مع الانقاض والشظايا قطع من سيارات الاسعاف البيضاء اللون تحمل شارات الهلال الاحمر والصليب الاحمر وأشلاء العاملين بأرديتهم البيضاء المسالمة ..

فى ذلك اليوم ، الرابع من شهر يونيو/حزيران ١٩٨٢ بدأ الفصل الاول من مذبحة صبرا وشاتيلا واستمرت فصول هذه المذبحة تتوالى ، ويتغير أشخاصها حتى كان الفصل الاخير الذى بدأ فى اليوم السادس عشر من شهر سبتمبر/أيلول ١٩٨٢ واستمر متصلا ثلاثة أيام تم فيها تدمير عدد كبير من « بيوت » المخيمين ، وذبح وقتل وتشويه الالاف من سكانهما . ولم يحدث ذلك هذه المرة بطائرات من الجو ولا بمدفعية من البحر والبر عن بعد كما حدث فى الفصول الوسيطة ، وانما حدث بالاسلحة الخفيفة والسكاكين والبلط والجرافات .. وبدم بارد .

ما بين الفصل الاول والفصل الاخير سالت دماء كثيرة فى صبرا وشاتيلا وفى بيروت كلها ، بل فى كل لبنان الجنوبى .. ثلاثة أشهر من التدمير والقتل والابادة ، وتشريد وتهجير مئات الآلاف ، واعتقال الآلاف ، وازالة مخيمات بأكملها من على وجه الارض واحتلال المدن والقرى . ثلاثة أشهر بدأت بمحاولة قتل سفير اسرائل فى انجلترا ، وبدأ فصلها الاخير بقتل بشير الجميل رئيس لبنان الذى انتخب فى ظل الحراب الاسرائيلية ، وشهدت فى كل يوم وكل موقع « مذبحة » واحتجاجات واجتماعات للهيئات الدولية وبيانات تستنكر التجويع والحصار ومنع مياه الشرب وقصف المستشفيات وقطع الكهرباء ومنع الوقود واستخدام الاسلحة الممنوعة وتجريب الاسلحة المدمرة الجديدة والاستهزاء بالرأى العام العالمى . ثلاثة أشهر كانت فيها كلمة « **مذبحة** » تستعمل لوصف ما يحدث هنا وهناك ، ولكنها أصبحت **اسما** للفصل الاخير فى صبرا وشاتيلا .

كل شىء تغير فى صبرا وشاتيلا فى هذه الاشهر الثلاثة . الناس الذين كانوا لم يعودوا هم نفس الناس . بعضهم « عاد » الى بيته وكثيرون لم يعودوا وجاء بدلا منهم آخرون من الجنوب ومن أحياء بيروت الاخرى . البيوت نفسها لم تعد هى نفس البيوت . لا نوافذ ، لا أبواب ، لا أسقف ، لا جدران .. مجردبقايا تذكر بأنه كان هنا « بيت » . سكان المخيمات خبراء فى الترميم وفى استعمال ما تبقى من الأشياء واستكمالها بأشياء أخرى . قبل اكتمال خروج المقاتلين من بيروت ؛ وخلال فترة وقف اطلاق النار التى سبقت « المذبحة » ، جمع سكان المخيمات من بين الانقاض ومن الشوارع كل مايصلح

لجعل « أنقاضهم » هم بيوتنا من جديد . لايزال الوقت صيفا وكل ماهو مطلوب كان رسم حدود وهمية «للبيت» . هنا بيت أبو فلان وهنا بيت «أم فلان»،مجرد ترتيب للاوضاع بوضع علامات تميز « البيت » وتجعل له عنوانا . «الخارجون» من بيروت تركوا أشياء كثيرة تصلح ولو فى غير الاغراض التى صنعت من أجلها ، بل ويمكن استبدالها او بيعها بعد أن تهـدأ الامـور . التليفزيون يمكن أن يسد ثغرة فى جدار ، والثلاجة تقف حدا بين بيت وبيت ، وطاولات المكاتب تتحـول الى أسرة أو أبواب وهكذا .. الحياة تعود الى المخيمات بأسرع مما تعود الى المناطق الحـديثة المبنية . الناس هم المخيم .

حتى الناس لم يكونوا كما كانوا قبل ثلاثة أشهر . الشباب خرجوا من بيروت ، وغابة السلاح زينة الرجال اختفت . لم يعـد المخيم مكانا مأمونا بل معرضا لحملات التفتيش التى لابد قادمة . كثيرون ممن فقدوا بيوتهم فى أحياء أخرى من بيروت جاءوا الى المخيمين ، وكثيرون ممن كانت بيروت المدينة قـد اخذتهم فى السنوات السابقة هرعوا عائدين الى اقاربهم ومعارفهم ، لكن الكثيرين أيضا ممن كانوا طوال السنوات السابقة فى المخيم لم يعودوا اليه. قتلوا أو فقـدوا الولد أو البيت فهاموا خارج المخيمين أو أقاموا فى المناطق المحيطة . وتجمع فى المخيمات فقراء من كل الجنسيات ، لبنانيون وفلسطينيون ومصريون وسوريون وأكراد وغيرهم ممن كانوا يعملون فى بيروت قبل الحرب ولم يعـد لهم مكان للسكن بعـد أن تهدمت أحياء بكاملها ، ولا عمل بعـد أن أغلقت مؤسسات كثيرة مع رحيل الفـدائيين . ولكن الغـالبية كانت من اللبنانيين الجنوبيين الذين فقـدوا قراهم وبيوتهم من قبل ، وهجروا قسرا فى السنين السابقة فتجمعوا داخل المخيمين وحولهما . هؤلاء تلقوا الصدمة الاولى وسقطت منهم أسر بأكملها حتى بعـد التأكد من هويتهم اللبنانية .

ولكن أهم ما تغير كانت هى النفوس. الاشهر الثلاثة من الحرب المتواصلة والصمت والعجز من حولهم ، ورحيل الابناء والحمى ، جعل الناس فى المخيمات كالعراه يستقبلون شتاء باردا . سنة الحياة توالى الفصول ، للربيع زهوه وزقزقة العصافير ، وللشتاء ليل طويل وهم للفقير .. هكذا كان « ناس المخيمات » بعـد الخروج ، لا انكسار .. وانما بال منشغل وترقب ومحاولة لوصل ما انقطع وترميم الجسور .. وبحث عن الرزق .

وما بين فصل « الخروج » وفصل « المذبحة » برزت معالم البيوت وذابت حدود الجنسيات واختفت المتاريس وظهرت بين الانقاض ازقة وحارات .

تطلب الاعداد للفصل الاخير من « المذبحة » وقتا طويلا . ثلاثة عشر يوما ما بين « خروج الفدائيين ودخول الجيش الاسرائيلى . خلالها .. رحلت القوات المتعددة الجنسيات (امريكية وايطالية ، وفرنسية) التى كانت قد جاءت لتمكث شهرا وهرولت خارجه من لبنان قبل مقتل بشير الجميل بساعات. وادعى الامريكيون بعد ذلك انهم « فوجئوا » واحتل الجيش الاسرائيلى جميع البنايات العالية المحيطة بصبرا وشاتيلا لكى يتمكن من الرؤية بوضوح ، (والا لماذا تكبد الجنود مشقة الصعود الى الطوابق العليا ؟) وادعى الاسرائيليون بعد ذلك انهم لم يروا شيئا . وفى ليلة « الذبح » قطع التيار الكهربائى عن بيروت الغربية كلها ، واطلقت القوات الاسرائيلية القنابل المضيئة فوق صبرا وشاتيلا على فترات متقاربة بحيث يمكن رؤية أية حركة فى تلك المنطقة . ومع ذلك يصر الاسرائيليون على انهم لم يروا شيئا . حتى أثناء النهار ، حين يمكن لطائرات الاستطلاع الاسرائيلية ، أن تصور ، كما كانت تفعل دائما . أى تغيير فى هيئة ترتيب البيوت فتعرف القيادة كم بيتا تهدم أو كم متراسا أقيم ، حتى بهذه الطريقة لم يلاحظ الاسرائيليون شيئاً .. وبلغت مقدرة « التعتيم » درجة كتمت الاصوات ، وامتصت صرخات النساء والاطفال ، ومنعت الدخول أو الخروج من منطقة المخيمين الا«للقتلة» الذين كان عليهم البقاء ثلاثة أيام داخل المخيمين وهم يعملون ليلا ونهارا قتلا وذبحا وتشويها وتدميرا ، وهو عمل يحتاج بلاشك الى تجديد كميات الذخيرة والمواد الناسفة والطعام والماء والمخدرات .. كما سمحوا بدخول جرافه اسرائيلية واحدة ، على الاقل ، لزوم اخفاء آثار الجريمة ، دخلت الى المخيم أثناء المذبحة ..

ولكن رائحة الموت كانت أقوى ، خصوصا ان الوقت كان صيفا ، والقتلى كانوا ألوفا ، وبعض الضمائر كانت لاتزال على قيد الحياة ..

وبدأت التحقيقات .

التحقيــــق:

أثناء اجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى فى فبراير — شباط ١٩٨٣ فى مدينة الجزائر العاصمة ، ألقى ابو اياد (صــلاح خلف) عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح) كلمة مطولة من ضمن المناقشات العامة فى اجتماعات المجلس . وورد فى كلمــة ابو اياد هــذه اسم « أمنون كابليوك » الصحفى الاسرائيلى — الفرنسى الذى أصدر كتابا عن مذبحــة « صبرا وشاتيلا » باعتباره الكتاب الوحيد تقريبا من وجهة نظر أبو اياد ، الذى ذكر الحقيقة وكشف الجريمة وتحدث عن المذبحة .

كان امنون كابليوك وقتها بين الحاضرين السامعين ، وقد نشر بعد ذلك مقالات فى الصحافة الاسرائيلية عن اجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى مؤكدا حقيقة حضوره هذه الاجتماعات . وبدأ الامر وكأن قيادة المقاومة تكافىء الرجل على مواقفه الجريئة والشجاعة وبالذات لنشره كتابه الذى نقدم ترجمته العربية هذه .

« وامنون كابليوك » يحمل جوازى سفر، شأنه فى ذلك شأن معظم اليهود الغربيين الذين يقيمون فى فلسطين المحتلة ، جواز سفر فرنسى (هو الاصلى غالبا) وآخر اسرائيلى حصل عليه لكونه يهوديا ذهب الى فلسطين واستعمل الامتياز القانونى الاسرائيلى الذى يمنح كل يهودى فى العالم « مواطنة » اسرائيلية بمجرد أن تطأ قدماه أرض فلسطين .

سارع كابليوك ، مثله فى ذلك مثل كافة الصحفيين الاسرائيليين ، الى دخول لبنان بعد ان غزته القوات الاسرائيلية فى يونيو / حزيران ١٩٨٢ . ولكنه ، ومن واقع ما نشر من مقالات فى الصحافة الاسرائيلية والفرنسية ، كان يرى من أفعال قوات الغزو ما لم يره كثيرون غيره . ورغم كل القيود القانونية والمعنوية ، ورغم انتماء كابليوك الحقيقى الى « دولة اسرائيل » وتعلقه بهاالا أنه نشر منذ الايام الاولى للغزو ما يتناقض مع مخطط بيجين — شارون فى لبنان .

كان أهم ما نشره كابليوك اثناء الغزو مقال فى جريدة « الموند » الفرنسية بتاريخ ١٩٨٢/٧/١٧ حول مخيم « عين الحلوه » الواقع بجوار مدينة صيدا فى جنوب لبنان ، بعنوان « المخيم الفلسطينى عين الحلوه » : بقايا جدران وتعاسة للناجين « وجاء فى ذلك المقال ان » شارون تكلم عندما شن هجومه على لبنان عن ضرورة تدمير البنية التحتية للمخربين . ولكن ما تم تدميره بالفعل هى البنية التحتية لشعب باكمله فى المخيمات الفلسطينية : فالمنازل مدمره والرجال مختفون ، والمؤسسات من مدارس ومستوصفات .. الخ مفككة . كانت تلك أول اشارة من صحفى اجنبى ، واسرائيلى بوجه خاص الى عملية « الابادة » التى يشنها الجيش الاسرائيلى ضد الشعب الفلسطينى (وان لم يستعمل الكلمة ذاتها) وكانت أيضا اشارة ذكية تدل على معرفة بخصوصيات القضية الفلسطينية . فالبنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية ليست كأية بنية تحتية لجيش من الجيوش وانما هى الشعب نفسه ، وبالذات هى مخيمات الفلسطينيين اللاجئين ، ومن هنا كانت خطة قوات الغزو هى تدمير وازالة هذه المخيمات نفسها ، وتهجير من تبقى من سكانها . وحتى عملية التهجير هذه تتم بطريقة خاصة ، فالعدو يقتل ، أو بجرح ، أو

يعتقل ، أو يخطف الى مصير مجهول كل« بالغ » من بين الرجال ، ثم يسعى لطرد الباقين من السكان . وهو ما يترتب عليه فضلا عن المعاناة والتعاسة التى لاحظها كابليوك فى مخيم عين الحلوه ، تجميد التزاوج والانجاب ، وعرقلة تكاثر الشعب الفلسطينى وهو الامر الذى يقلق الى حد الاصابة بالارق القادة الصهاينة كما صرحت بذلك فى الماضى جولدا مائير بأنها عندما تذكر أن هناك طفلا فلسطينيا يولد كل دقيقتين تفقد القدرة على النوم .

ولقد اسرع كابليوك الى صبرا وشاتيلا . وكما يقول هو فى تقديمه للكتاب ان جهده هذا بدأ غداه مذبحة « صبرا وشاتيلا » . ولابد انه بذل جهدا كبيرا لكى يحصل على ما حصل عليه من معلومات فقد استمع الى جنود والى شهود ، وجمع صحفا وتعليقات ورصد اذاعات وبرامج تليفزيون واطلع على مضابط اجتماعات الكنيست ، وذكر فى كتابه كيف صدرت الاوامر للضباط والجنود بعدم الكلام ، وكيف دارت التحقيقات فى سرية وتكتم ، الى جانب عامل الوقت وتسارع الاحداث وغياب المصادر المنظمة المتعاونة على الجانب اللبنانى ، وغياب المصادر المحلية التى كانت تترنح تحت وقع المذبحة ، ومع ذلك فقد أمكنه جمع مادة جيدة رتبها بشكل يبدو « محايدا » و « ليبراليا » ولكنه فى الوقت نفسه متعاطف مع الضحايا مستنكر لمرتكبيها ، مبين لتناقض أقوال القيادات الاسرائيلية ومقتبس للتعليقات التى تدعم محاولته .

وفى سياق التحقيق الذى قام به كابليوك انشغل بقضية عدد القتلى الذين لاقوا حتفهم فى المذبحة . وضع كابليوك أرقاما جعلته يقدر ان القتلى يزيدون على أربعة آلاف وان أحدا لن يمكنه التوصل للعدد الصحيح . المصادر الرسمية الاسرائيلية قللت كثيرا من عدد القتلى ، كذلك فعل تقرير المحقق العسكرى اللبنانى الذى حصر عدد القتلى باربعمائة قتيل تقريبا ، أما المصادر الفلسطينية فقد ذكرت رقم الاربعة آلاف ونبهت الى آلاف أخرى من المفقودين الذين لا يعرف أحد مصيرهم . وسمح تضارب الاعداد الهائلة للصهاينة بالتشكيك فى صدق وجدية التحقيقات .

ربما كان للعدد الكلى الصحيح أهمية احصائية ، ولكنه على أية حال لا يمكن أن يكون مصدرا للجدل حول صحة أو عدم صحة وقوع المذبحة ، ولا حول هول أو درجة بشاعة المذبحة . ان التركيز على قضية العدد الذى قتل لن يبرىء أحدا ، ولن يعيد الى الحياة مفقودا لاتزال أسرته تبحث عنه . كما قد يتضمن النقاش حول « العدد » احتقارا ضمنيا للفرد ، وتبريرا ضمنيا أيضا للقتل » .

ان استعمال كلمة « **مذبحة** » فى وصف ما حدث فى صبرا وشاتيلا ، ثم مناقشة مسألة العدد ، يؤدى الى اخفاء طبيعة ما حدث بالفعل ولو بنية حسنة . فالذى حدث كان حلقة من حلقات « **الابادة** » وهى كلمة لم يستعملها كابليوك ، كما لم تستعملها اجهزة الاعلام العالمية . وبدأ الامر كأن « مجرما ما » سواء كان بيجين أو شارون أو ايتان أو الثلاثة معا قد ارتكبوا « مذبحة » بعيدا عن الخطة الاسرائيلية الصهيونية الاستراتيجية العامة ، أو بشكل يجافى الاجماع الفكرى لاغلبية التجمع الصهيونى . ومن الغريب ان كلمة « **ابادة** » نفسها استعملها شارون مرات عديدة طوال الغزو . لم يستعمل بالطبع كلمة " Genocide " وانما دأب على استعمال كلمة elimination التى تعنى « اجتثاث » ، وقد استعملها ايضا فى تفسيره لاوامره باقتحام بيروت وادخال العملاء القتلة الى المخيمات .

ان تقييم ما حدث باعتبار أنه حلقة من حلقات « **الابادة** » كان سيؤدى بالتأكيد الى الربط بين مذابح سابقة داخل وخارج فلسطين المحتلة ، وبين مذبحة صبرا وشاتيلا . وبذلك أيضا يكون من قاموا بعمليات القتل والتشويه هذه منفذين لخطط اسرائيلية شكلا ومضمونا .

كما استعمل كابليوك للاسف تعبيرات مثل الميلشيات المسيحية اليمينية، أو القوات اللبنانية مما يربك الباحث عن الحقيقة ، برغم أنه اورد ، مشكورا معلومات قيمة عن الذين قاموا بالتنفيذ واشخاصهم . وجميعهم كما ذكر نشأ وتربى وتدرب على القتل فى أحضان الموساد الاسرائيلى .

ان تعبير الميلشيات المسيحية أو حتى القوات اللبنانية لا يخدم الحقيقة بل هو يلقى بالمسئولية على « طائفة » بأكملها من بينها من يقف ضد الغزو الاسرائيلى للبنان ، ومن بينها من يرفض التعاون مع الاسرائيليين ، ومن بينها بكل تأكيد من باع نفسه منذ وقت مبكر لهم وتورط معهم الى غير رجعة . هؤلاء تلقوا امرا اسرائيليا من شارون وايتان ، كما كشفت التحقيقات بدخول المخيمات والقتل . وهؤلاء تم دعمهم ليس فقط من خارج الخيمات وانما أيضا وبكل تأكيد بمجموعة من الخبراء الاسرائيليين فى القتل والتشويه والترويع .

وتتضح مزالق هذا المنهج فى التحقيق ، وكذلك خطورة استعمال مثل هذه التعابير غير الصحيحة عندما نرى كيف استعملت لجنة التحقيق الاسرائيلية الرسمية المعروفة باسم «لجنة كاهان» هذه المقولات لتبرئة القيادة الاسرائيلية من المسئولية المباشرة عن المذبحة ولومهم فقط لانهم لم يكونوا متيقظين الى

طبيعة « القوات اللبنانية » ، الراغبة فى الثار شأنها فى ذلك شأن العرب جميعا . وبالرغم من ان كابليوك قد حاول طوال التحقيق الذى قام به دون انتظار للتحقيق الرسمى (وربما بسبب عدم ثقته بذلك التحقيق) ان يؤكد علم المسئولين الاسرائيليين بطبيعة « القوات اللبنانية » وهو بذلك لا يبرئهم من نية القتل العمد ، الا أنه بلاشك وقع فى « فخ » اعتبار أن حدود الجريمة هى تواطؤ أفراد من القيادة العسكرية عمدا مع مجرمين معروفين بينما هى أوسع من ذلك بكثير . انها **جريمة عنصريــة تعكس فكرا صهيونيا عنصريا** قام بها عنصريون وصرحوا بذلك أيضا (جوييم يقتلون جوييم كما قال بيجين) (وحرصا على أرواح جنودنا كما قال شــارون) وهى جريمـــة **ابادة** تم تدبيرها وتنفيذها فى اطار استراتيجية عامة لدولة اسرائيل وكحلقة من حلقات تنفيذ هذه الاستراتيجية .

وللمساعدة على توضيح الفرق بين **الجريمـــة العنصريـــة** وبين **جرائم الحرب الاخرى** ، وبين **مذبحة ما** وبين **الابادة** ، نذكر واقعة تسجل للقيـــادة الفلسطينية . فعندما اتصل بها البعض متحمسا لترجمة كتاب صدر فى فرنسا وآخر صدر فى الولايات المتحدة ينفيان بالادلة والوثائق مقولـــة ان النازيين قتلوا ستة ملايين يهودى فى افران الغاز اثناء الحرب العالمية الثانية وقبلها ، رفضت القيادة الفلسطينية أن يكون لها أية علاقة بمثل هذه الكتب موضحة أنه لا فرق لدى الثورة الفلسطينية بين قتل فرد واحد بسبب لونه أو دينه أو عرقه وبين قتل الملايين لنفس السبب ، كذلك لا فرق بين القتل فى غـــرف الغاز أو القتل بالرصاص أو غيره فكل ذلك جرائم ضد الانسانية كلهـــا . وتمسكت القيادة الفلسطينية بأنه سواء تمت تلك الابادة أو لم تتم فان ذلك لا يعطى احدا من خارج فلسطين حقا فيها وانه اذا اختلف المؤرخون الغربيون حول قراءة تاريخهم فان ذلك أمر يخصهم هم .

ومع ذلك ، فان شهادة امنون كابليوك فى كتابه هـــذا هى شهادة من الجانب الاخر ، ومن هنا أهميتها ، خاصة عندما نذكر ان الكتاب قد صدر قبل مرور شهرين على « مـــذبحة » صبرا وشاتيلا ، وان الكاتب صـــحفى يعمل داخل اسرائيل ويكتب للقارىء الغربى ، لذا فهو محكوم باســـلوب « حيادى » « ليبرالى » ، وكذلك محكوم بانتمائه للتجمع الاسرائيلى وخضوعه لقوانينه . وسيلاحظ القارىء ان « كابليوك » قد اقتبس أقوالا عمن عارضوا وادانوا واستنكروا هذه المذبحة ، وقـــد استعمل احـــدهم بالفعل كلمـــة « العنصرية » فى حديثه ، ولكنه ، أى كابليوك ، لم يوضح للقارىء ان هؤلاء « **قلـــة** » حتى الان على الاقل داخل التجمع الاسرائيلى ، وان بعضـــهم **لم يكن يحتج على قتل الابرياء بقدر احتجاجه على ما سماه « تشويه سمعة الجيش الاسرائيلى »** أو « **تلويث سمعة اسرائيل واليهود** » .

ولقد كانت مهمة « لجنة كاهان » منصبه على هذا الجانب ، جانب تبرئة الضمير الاسرائيلي وتبييض صورة المؤسسة الاسرائيلية كلها في أعين العالم . والقاء مسئولية ما حدث على العرب أنفسهم .

الى أين نذهب الان ؟

يختتم كابليوك كتابه بهذا السؤال على لسان امرأة تتابع تجوالها المستمر بالقرب من حفرة جماعية في مخيم شاتيلا . مات ثلاثة عشر عضوا من أسرتها ومن بينهم رضيعها البالغ من العمر أربعة شهور .

وكان كابليوك خلال وصفه قد ذكر فلسطينية شابة سنها ١٣ عاما، كانت الوحيدة من اسرتها التي بقيت على قيد الحياة ، ونقل عنها وصفا للطريقة التي قتل بها أهلها وجيرانها ، ثم نقل عنها تساؤلها الحزين ، لا اعلم ماذا سافعل ، ولا أعلم ما سيكون مصيري » . وطوال تجواله في المخيمين بعد المذبحة كان السؤال الذي يسمعه بوضوح ويحفز ذاكرته « ماذا سنفعل الان؟» « واين سنذهب الان ؟ » ، حتى أنه اختار هذا السؤال ختاما لكتابه .

ولقد طردت المذبحة الوحشية التي تمت في تلك الايام الثلاثة هذه التساؤلات على كل من سمع بها أو رآها ..

وبرغم ان المرء قد يتصور ان وطأة الرعب وأثر فقدان الاحبة والاهل قد يمنع الانسان من التفكير في ايامه المقبلة ، الا أن الواقع يقول ان كل من مر بمثل هذه الكوارث يطرح هذا السؤال على نفسه وعلى المحيطين . هكذا فعل الفلسطينيون عندما اجبروا على الرحيل من فلسطين في عام ١٩٤٨ ، وهكذا فعلوا بعد كل حلقة من حلقات الابادة التي تعرضوا لها على يد العدو الصهيوني . في عام ١٩٧٤ عندما دمرت الطائرات الاسرائيلية مخيم اللاجئين الفلسطينيين بجوار مدينة النبطية في جنوب لبنان ، هاجر من تبقى من الناس حيا الى غيره من المخيمات ، وكان أول ما سألوه لانفسهم وللاخرين، ماذا سنفعل الآن ؟ ، وعندما دمر الاسرائيليون وعملاؤهم مخيم تل الزعتر في اشهر يونيو — حزيران ، ويوليو — تموز ، واغسطس — آب ١٩٧٦ ، واجبروا أهله على الرحيل وذبحوا في يوم الخروج وحده الفا ومائتي شاب من المخيم ، كان سؤال الى أين نذهب هو أول ما سأله الناجون . كذلك كان الامر مع مخيم عين الحلوة في صيف ١٩٨٢ ، ومع مخيم الرشيدية من قبله ثم مع مخيمات منطقة بيروت كلها ، واخيرا مع مخيمى صبرا وشاتيلا ..

على لسان الضحايا ، يعكس السؤال قدره على الاستمرار والحياة لا يملكها الا من لا يملك سوى الحياة ، وحين تكون المعاناة أكبر بكثير مما يمكن أن تتحمله النفس إذا تأملت تفاصيله . .ولكن السؤال أيضا يعكس يأسا مريرا من الواقع القائم كما يعكس افتقاد الثقة فيمن يرون ويسمعون دون أن يتحركوا لنجدة الناجين ..

ولاشك ان كابليوك حين يردد هذه التساؤلات على ألسنة ابطال المأساة فانه أيضا يرددها لنفسه هو وابناء جلدته . ماذا سنفعل الان ؟ الى أين نحن ذاهبون ؟ ..

ولكن السؤال عندما يأتى على لسان كابليوك ، وامثاله ممن يعلنون سخطهم على هذه المذبحة . لا يعكس الرغبة فى الاستمرار .. على الاقل فى استمرار ذلك النظام الذى ارتكب ويرتكب هذه المذابح فان لم يكن القلق الذى يبديه ، كابليوك هو قلق على النظام أو على الدولة التى كانت بلاشك حلما لقسم كبير من قاطنيها فانه قلق على المصير الشخصى . فمن المنطقى ان من دبر ويدبر عمليات الابادة هذه لن يتردد فى ارتكابها ضد معارضيه من بين ابناء جلدته أنفسهم .

لقد اقتبس كابليوك فى كتابه كلمات لعدد من الكتاب والمؤرخين والسياسيين ، وهم وان كانوا قلة : فقد اظهروا أثر اخبار المذبحة على ذوى الضمائر الحية ، واستنكروها وبعضهم حذر من انها ستقوض « الاجماع » اليهودى حول اسرائيل ، و « الاجماع » الاسرائيلى نفسه . وذكرت أم لجندى اسرائيلى قتل فى حرب لبنان ، ذكرت أمام التليفزيون البريطانى انها تشعر بأن ابنها قتل ثانية . كما أورد كابليوك استطلاعا للرأى تم بعد المذبحة ذكر فيه أن ٦٠٪ من العينة التى اجابت على الاسئلة قالت ان « اسرائيل مسئولة عن المذبحة » .. صحيح ان النتائج العملية فى نهاية الامر لم تتفق تماما مع هذه النسبة فلا يزال قادة المذبحة وأصحاب خطة الابادة يحكمون ، كما أن أصوات المعارضين أقل مما كانت عليه أيام المذبحة.وساهم تقرير لجنة كاهان فى « تفريغ » السخط نسبيا وتبييض وجه المؤسسة الاسرائيلية الى حد كبير ، ولكن التساؤلات لاتزال قائمة ، **ويجب أن تظل قائمة** ..

فمن المؤكد أن القيادات الصهيونية العنصرية تحاول وستحاول باستمرار تغييبذكر مذبحة صبرا وشاتيلا منذاكرة الاسرائيليينخاصة واليهود عامة والرأى العام العالمى أيضا ، وستلجأ هذه القيادات الى أساليب عدة لعل اسهلها بالنسبة لها هى نفوذها الكبير على وسائل الاعلام العالمية .

ولكن أهم ما ستلجأ اليه هذه القيادات يندرج فى اطار التوجه العام الذى صرح به مناحم بيجين عندما واجه المعارضة فى الكينست والرأى العام كله بقوله « جوييم يقتلون جوييم » أى غير اليهود يقتلون بعضهم بعضا . ان كل واقعة اقتتال عربية — عربية أو عربية — فلسطينية أو فلسطينية — فلسطينية ستستغل على أوسع نطاق اعلاميا من أجل تبرئة القيادة الاسرائيلية ، وتغييب اخبار وذكريات مذابحها فضلا عن اشاعة اليأس فى نفوس الجماهير العربية. وستسعى القيادات الصهيونية العنصرية الى اذكاء نار الاقتتال بالفعل وبالاعلام وبالتآمر.وبتضخيم انباء الخلافات وباستغلال التصريحات الانفعالية العفوية التى تعكس مرارة « ظلم ذوى القربى » بحيث تؤكد مقولة « جوييم يقتلون جوييم » هذه .

كذلك ستحاول القيادات الصهيونية العنصرية أن تثبت للاسرائيليين خاصة، ولليهود عامة ، ثم للرأى العام العالمى ان « العرب » اشد عنصرية منها ، ولا يستبعد ان تفتعل الحوادث التى تثير الشبهة العنصرية حول العرب كما حدث فى الماضى عندما أحرق الصهاينة كنسا يهودية ، لاخافة اليهود العرب واجبارهم على الهجره الى فلسطين من بلدانهم العربية ، أو عندما نسف الصهاينة أماكن عبادة يهودية فى أوروبا لتشويه سمعة النضال الشعبى الفلسطينى . لذا فمن الضرورى التنبيه الى الفارق الدقيق والهام بين التصدى للغزو الصهيونى العنصرى وبين أى عمل من شأنه تسهيل مهمة القيادات العنصرية الصهيونية فى تضليل المزيد من اليهود والاسرائيليين . ان تشديد النضال ، بكافة اشكاله ضد المؤسسة الصهيونية الاسرائيلية فى فلسطين المحتلة وفى لبنان المحتل أيضا ، وفى الوقت نفسه تشجيع كل صوت يهودى معارض لسياسة هذه المؤسسة من شأنه أن يبقى جذوه التساؤلات حول حقيقة هذا الكيان المصطنع وعدالته ، وحول مستقبله وحول مكانه فى التاريخ .

ولكى تظل هذه التساؤلات قائمة دوما ، يجب أن تتحول واقعة صبرا وشاتيلا من **مذبحة** الى حلقة من حلقات **الابادة** ، ومن مجرد حادثة فى التاريخ الى **مأزق** للضمير العالمى عامة والاسرائيلى خاصة .. يجب أن يتواصل **التحقيق** حول المذبحة . لا يكفى أن يدفن الناس فى مقبرة جماعية ، وان يسأل الاهل عن ابنائهم المفقودين وان يصدر كتاب أو كتابان عن المذبحة ، وان تحتج هذه الهيئة أو تلك ثم ينتهى الامر عند هذا الحد ليصبح نسيا منسيا بعد أعوام ، أو تجهله الاجيال بعد سنين ولا يكاد أحد يعرف ماذا تعنى كلمتى صبرا وشاتيلا .

ويبقى سؤال « ماذا سأفعل الان » ؟ معلقا فوق رؤوس الذين شاهدوا وسمعوا وقرأوا عن مذبحة صبرا وشاتيلا ، العالم كله بشكل عـــام ونحن العرب بشكل خاص نواجه هذا السؤال . قد يقول قائل ان لا شيء يمكن أن يفعل لاعادة الذين ذبحوا الى الحياة ولا لتهدئة نفوس الناجين من سكان المخيمين ، ولا لمعرفة مصير المفقودين ، الهدف من طرح السؤال ليس هـــو ذلك على أى حال ، كما أنه ليس دعوة الى الاخذ بالثأر فان الثأر لن يعيد احدا للحياة أيضا ، وانما السؤال يعنى : ماذا سنفعل لحمايـــة أنفسنا نحن الذين سمعنا وقرأنا وشاهدنا واستنكرنا .. ولا يزال العـــدو الصهيـــونى العنصرى يواصل اعتداءاته وجرائمه ..

ان السؤال موجه لنا جميعا ، والكثير يمكن أن يفعله كل منا ...

ولعل نشر واعادة نشر ما كتبه كاتب اسرائيلى كأمنون كابليوك باللغـــة العربية ، كشهادة من الجانب الاخر ، ليس الا عملا غاية فى البساطة والتواضع على هذا السبيل .

« ونكـــــر »

ويا لهـــا من تذكرة وذكرى

محجوب عمر

القـــــاهرة

١٩٨٣/٩/١٥

صبرا وشاتيلا : تحقيق عن مذبحة

تنبيه من الكاتب

هـذا التحقيق الذى نقدمه حصيلة جهد بـدأ غـداة مذبحـة صـبرا وشاتيلا وهو مبنى على شهادة عشرات من الاسرائيليين مدنيين وعسكريين . وكذلك على شهادة فلسطينيين ولبنانيين وصحافيين أجانب . وقد استخدمت بشكل واسع الصحافة الاسرائيلية واللبنانية والدولية وكـذلك الشهادات أدلى بها أمام لجنة التحقيق القانونية الاسرائيليـة ومحـاضر الكنيسـت (البرلمان الاسرائيلى) ، ودوائر رصد اذاعات الشرق الاوسط وبرقيات وكالات الانباء الدولية كما استخدمت وثائق مصدرها اسرائيلى ، فلسطينى ولبنـانى .

لقد تفحصت وقارنت هذه المعلومات التى حصلت عليها بالشكل المذكور وقد استبعدت ، متعمدا ، كل خبر لم أتمكن من التأكد منه بشكل دقيق .

أمنون كابليوك ــ تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٨٢

الثلاثاء ١٤ ايلول سبتمبر ١٩٨٢

عملية الرأس الحديدى :

فى الساعة الرابعة وعشر دقائق بعد الظهر دوى فى بيروت الشرقية صوت انفجار رهيب . لقد تطاير مركز حزب الكتائب (المسيحية) الكائن فى حى الاشرفية من جراء شحنة ت . ن . ت ــ وزنها ٥٠ كيلو جراما ، تحتوى على جهاز للتفجير اللاسلكى من صنع يابانى كانت قد وضعت فى الطابق الثانى للمبنى . وكان بشير الجميل ، رئيس الجمهورية الجديد ، المنتخب منذ ثلاثة أسابيع (٢٣ آب ــ أغسطس ١٩٨٢) ، يعقد فيه اجتماعا مع كوادر الحزب المسؤولة عن منطقة بيروت . كان من عادته عقد مثل هذا الاجتماع كل يوم ثلاثاء الا أن اجتماع هذه المرة كان نوعا من الوداع لرفاقه قبل ثمانية أيام من موعد تنصيبه .

لقد نسف المبنى الاصفر ، ذو الطوابق الثلاثة فى شارع ساسين الذى يقوم على رأس تلة ويشرف على ممر المتحف الذى يفصل بين شطرى العاصمة اللبنانية منذ بداية الحرب الاهلية ، كما لحقت بالمساكن المحيطة به أيضا اضرار بالغة . وهرعت فورا الى مكان الحادث فرق الانقاذ وبعث « تساهال » ، الجيش الاسرائيلى بطوافتين تنقلان الاطباء وفرق ازالة الانقاض ، وبمنتهى السرعة وصل الاسرائيليون وباعداد كبيرة الى المكان. عدد من ناقلات الجنود المدرعة ــ ١١٣ تعبر الشوارع الصغيرة ، خالعة بطريقها جوانب السيارات وتتمركز حول مكان الاعتداء ويتبعها بعدحين عدد من سيارات نصف نقل وسيارات جيب عديدة. وسيطر الجنود الاسرائيليون المزودون بالخوذات والدروع المضادة للرصاص ، على كل حى الاشرفية .

تتضارب الاخبار الاولى المتعلقة بالرئيس الشاب (٣٤ عاما) . اذاعة الكتائب لا تكتفى بالابلاغ عن سلامة بشير بل تؤكد أنه « يدير شخصيا عمليات الانقاذ » ، يثير هذا النبأ على الفور صيحات الارتياح فى كل الحى ترافقها علامات الفرح التقليدية (اطلاق النار فى الهواء) . . تشير اذاعة أخرى الى أن « بشير أصيب بجرح طفيف فى ساقه وأنه خرج من بين الانقاض » . لكن فى الساعة السابعة والنصف مساء ، تعلن اذاعة الكتائب الرسمية ،

صوت لبنان ، أن مصير بشير الجميل مازال غير مؤكد ، لم يعد هناك مجال للشك ، فخلافا لعادتها هاهى الاذاعة لا تبث الا الموسيقى الكلاسيكية وكذلك اذاعة الدولة اللبنانية : مات « الشيخ بشير » . وكما حدث عند الاعتداء الذي اودى بحياة الرئيس المصرى انور السادات ، يوم ٦ تشرين الاول — اكتوبر ١٩٨١ ، كان لشبكات التليفزيون الامريكية أولوية اذاعة النبأ : اغتيل بشير الجميل ، الرئيس اللبنانى المنتخب . فى الساعة العاشرة والنصف مساء أكد بلاغ تليفونى « للميليشيات المسيحية » التى تشكل الكتائب هيكلها ، أنه عثر على جثة بشير بين أنقاض المبنى . ضابط اسرائيلى هو الذى تعرف على جسده الممزق. كما عثر المنقذون على ٢٤ جثة أخرى من بينها ثلاثة لمسؤولين كبار فى حزب الكتائب التابع لبيير الجميل ، والد الرئيس انتخب . ومن جهة اخرى بلغ عددالجرحى ٦٠ جريحا .

عمت لبنان كله حالة من الذهول . الكل يحاول التنبؤ بهوية الفاعل وتنشط التعليقات . يهمس بعض المسؤولين الكتائبيين بأن « المتواطئين كانوا فى الداخل » . يؤكد احدهم لصحفى اسرائيلى ان : « مجموعة المعنيين المحتملين باغتيال الرئيس المنتخب تضم من منظمة التحرير الفلسطينية والسوريين الى النقيض المطلق .. »

بالنسبة لاسرائيل ، فان الضربة قاسية . كان الرئيس القتيل عدوا لدودا للفلسطينيين ولم يتردد فى التصريح فى مقابلة أجريت معه قبل شهور ونشرتها فى باريس مجلة « النوفيل أوبزرفاتير » (Le Nouvel Observateur) (١٩ — ٢٥ حزيران — يونيو ١٩٨٢) ، أن فى الشرق الاوسط « هناك شعب زائد عن اللزوم : الشعب الفلسطينى » . وكان خصومه يشيرون اليه بانه « الرئيس الذى أتت به الحراب الاسرائيلية » .

بالفعل كان قد تعاون مع اسرائيل خلال كل فترة الحرب الاهلية فى لبنان. وأصبح هذا التعاون جليا منذ بداية الحرب الاسرائيلية — الفلسطينية. يوم ٤ حزيران — يونيو ١٩٨٢ . كان رئيس الوزراء مناحم بيجين ووزير الدفاع آرييل شارون ، يعتبرانه وفقا لوعوده السابقة ، الرجل الذى سيوقع معهم اتفاقية سلام . ألم يعلن رئيس الوزراء الاسرائيلى يوم ١٧ تموز—يوليو، أمام ٢٥٠ الف شخص جمعتهم فى تل أبيب مظاهرة ضخمة جدا نظمها حزب الليكود (جبهة احزاب اليمين القومى الحاكمة فى اسرائيل) انه : « قبل نهاية هذا العام نكون قد وقعنا معاهدة سلام مع لبنان ! »

وفى الواقع شكل انتخاب بشير الجميل لمنصب الرئاسة ، أول انتصار سياسى واضح للجنرال شارون فى هــذه الحرب . حتى تلك اللحظة ، لم يكف خصومه فى كل مناسبة عن لفت نظره الى أنه لم يفلح فى تحقيق هدفــه المعلن أى تدمير منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها . وأضاف البعض أن ما حصل هو عكس ذلك . فقد اكتسبت هذه المنظمة مزيدا من القوة السياسية على الصعيــد الدولى من جراء المحنة التى مرت بها خلال أسابيع عــديدة من الحرب الدامية مخلفــة الدمار والخسائر الباهظــة فى أرواح المــدنيين (١٨٫٠٠٠ قتيل و ٣٠٫٠٠٠ جريح حسب الاحصــاءات اللبنانية) ، كمــا أدت الحرب الى تضاؤل دعم الرأى العام العالمى لاسرائيل بما فى ذلك فى الولايات المتحــدة . الطوائف اليهودية نفسها كانت ممزقة خاصة عند تعرض بيروت الغربية الى القصف الشامل . وعند نشر « مشروع ريجان » يوم ٢ أيلول ـــ سبتمبر تنبــه مؤيدو سياسة بيجن أن المشروع يعنى نهاية لاحلامه فى ضم الضفة الغربية وقطاع غزة . أخيرا ، وفى خلاصة الموقف ، فان دولة اسرائيل نفسها أصبحت أمام الشرخ العميق الذى يبدو انها لم تعرفه أبدا فى حياتها ، اذ اعتبر الكثيرون ان هــذه الحرب صراع غــير متساو بين داود فلسطينى وجوليات اسرئيلى . الا ان مصير اسرائيل لم يكن فى خطر ولم يكن ظهرها الى الحائط هذه المرة بل كان ذلك حال خصمها أى الفلسطينيين . وبالتــالى كانت حربا معاكسة للرغبات الشعبية ، لاقت أعــدادا كبيرة من المنــاوئين الذين لم ينتظروا نتائجها للتعبير عن سخطهم وهــذا شىء لا مثيل له فى تاريخ الــدولة اليهــودية .

حتى ذلك الحين ، كان آرييل شارون وزير الدفاع ، يرد بكلمــة واحدة على هــذه الانتقادات : الصبر . كثيرا مــا كان يردد : « الصبر باسادة ، وستظهر لنــا ثمار هــذه الحرب ، وها هو فى منتصف شهر آب ـــ أغسطس يبرز ورقته الرابحة : لقــد انتخب بشير الجميل ، وهو مرشــحه ، رئيســا للدولة اللبنانية وبدأ ينجلى النظام الجديد الذى يتطلع اليه الجنرال شارون فى لبنان ضمن اطار استراتيجيته على صعيد الشرق الاوسط . وبشير الجميل ، الذى كانت فرص فوزه تقدر اجمالا بأنها معدومة لولا وجود الدبابات الاسرائيلية يتم انتخابه على الرغم من كل الناس . هــذا هو مايدعو الى الاحتفال بالنصر فلماذا لا يحتفل شارون ؟ .

رئيس الوزراء الاسرائيلى بنفسه هو أول من توجه ببرقية تهنئة متحمسة الى الرئيس الجــديد بعــد انتخابه مباشرة . ومن محتواها : « أهنئك من كل قلبى بمناسبة انتخابك . ليرعاك الله ، أيها الصديق العزيز ، فى تحقيق مهمتك التاريخية الكبيرة من أجل حرية لبنان واستقلاله .

صديقك ، مناحم بيجن » .

جاء انتخاب الجميل ليتوج النشاط الاسرائيلى فى لبنان ، ذلك النشاط الخفى الذى لم يتوقف منذ عام ١٩٧٦ والهادف الى جعل الكتائب وقائدها العسكرى الشاب ، بشير الجميل أسيادا على البلاد . كانت كل الامكانيات قد توفرت : الدعم العسكرى ، تدريب قوات فى معسكرات خاصة فى اسرائيل نفسها ، تنسيق العمليات وأجهزة المخابرات واخيرا لقاءات بين القاده الكتائبيين والمسؤولين الاسرائيليين من حزب العمل فى البداية ، ثم من الليكود منذ شهر آيار — مايو ١٩٧٧ . وتدعم التعاون بين الطرفين دون توقف . وليس من باب الصدفة أن يصرح رئيس الاركان الاسرائيلى رفاييل ايتان بعد مقتل بشير الجميل : « لقد كان واحدا منا » .

ولكن ، ما انجاءاليوم التالى لانتخاب « الشيخ بشير » حتى ظهرت فى اسرائيل اشارة القلق الاولى . فالرئيس الجديد لم يظهر تعجلا بالنسبة للموضوع الذى كانيشغل المركز الاول فى اهتمامات بيجن وشارون أى التوقيع السريع لمعاهدة سلام . وجاءت بسرعة الضغوطات الاسرائيلية الاولى للتقدم على هذا المسار . لكن بشير الجميل شرح حينئذ أن مثل هذه المعاهدة قد تعزل لبنان عن العالم العربى الذى تنعقد عليه الآمال فى المساعدات الضرورية لاعادة تعمير البلد المهدم . اجاب بشير الجميل على الاسرائيليين الذين كانوا يرجونه بالحاح أن يباشر سداد الديون التى قدمته له : ان الوقت لم يحن بعد وأن عليه تحقيق الاجماع والمصالحة الوطنية قبل أن يتمكن من توقيع معاهدة للسلام .

ليلة الاول من أيلول — سبتمبر ، أى ١٥ يوما قبل مقتله ، التقى بشير الجميل سرا فى نهاريا ، البلدة الساحلية شمال اسرائيل ، أبرز محادثيه الثلاثة بيجن والجنرال شارون ووزير الخارجية اسحاق شامير . وبلغ عندئذ الصراع مرحلته الحادة اذ اعتبر بيجن ، الذى حث على هذا اللقاء ، أن الرئيس الجديد قد انكر تعهداته وماطل فى توقيع معاهدة السلام التى هى بنظره تشكل أهمية جوهرية فى الشرق الاوسط . رد عليه بشير : « توقيع معاهدة سلام مع اسرائيل **اليوم** يعنى ادخال شحنة من الديناميت فى قلب الشرق الاوسط . وناشد بيجن بالصبر وبالانتظار الى أن يتمكن من تثبيت سلطته وقال دون تحديد اية مهلة : « فليكن سلام الامر الواقع De facto لكنه سلام موقع شرعا وآجلا . تظاهر شارون بالعصبية طوال فترة اللقاء وصرح مباشرة لبشير الجميل: « انا رجل احب ترتيب المسائل بسرعة . واخشى أن تنسل من بين أيدينا » بلغ التوتر عندئذ ذروته . ويقول المقربون من الجميل أنه عرض فى هذه اللحظة معصميه قائلا : « ان أردتم توقيفى فكل ما عليكم أن تفعلوه هو تكبيلى بالقيود . تذكر انك تتكلم الى رئيس لبنان وليس الى تابع لاسرائيل . لدينا دواعينا » .

واستمر النقاش على هذا النمط حتى الثالثة صباحا وكان قد بدأ فى الحادية عشرة ليلا . ابتدأت الاخبار « تتسرب » قبل مضى ٢٤ ساعة والاذاعة الاسرائيلية نفسها تشير اليها . جاش حنق بشير الجميل . فهو لايشك بأن تناثر الانباء حول اللقاء يهدف الى تشويه سمعته ، ولم يعط أحد لتكذيبه الفورى طابع الجدية ، وانتوى منذ تلك اللحظة أن يرفض مقابلة الاسرائيليين مجددا باستثناء مرة واحدة ، يوم ١٢ أيلول ــ سبتمبر ، أى قبل مقتله بيومين، حيث التقى بالجنرال شارون فى بكفيا وهى مسقط رأس آل الجميل ، فاعرب له فى هذه المناسبة عن غضبه الناجم عن التسربات التى أحاطت بلقائهم السابق ثم كرر طلبه الرامى الى اعطائه فرصة من وقت كاف لتثبيت الوضع فى لبنان ولاعادة العلاقات مع العالم العربى الذى استقبل انتخابه بحذر . بعد ذلك شكا بشير صراحة فى لقائه مع القائد المسلم صائب سلام من الضغوطات التى تمارسها عليه اسرائيل كى يوقع معاهدة سلام . ومن جهة ثانية ، فقد اتصل بشير مباشرة برئيس تحرير جريدة لبنانية كبرى ، « الاوريان ــ لوجور » (L'Orient - Le Jour)واعترف له بذهابه الى نهاريا ليلتقى ببيجن وطلب أن تساعده المجلة باقناع اسرائيل بأن أى معاهدة سلام فى هذه اللحظة بالذات قد تساوى تقسيم البلاد . والاثر المباشر لذلك كان اذابة الجليد بين الرئيس الجديد والمسلمين بينما ، بالمقابل ،كانت علاقاته مع اسرائيل تتفاقم أكثر فأكثر .

وبالفعل ، كان شارون غير مستعد للرضوخ . فبعد أسبوع من لقاء نهاريا السرى ، أعلن فى مهرجان سياسى فى كريات شمونه أنه سيقيم « حزاما آمنا » فى جنوب لبنان يتراوح عمقه بين الاربعين والخمسين كيلو مترا ويخضع لنظام مختلف عن بقية البلاد ان لم يوقع لبنان معاهدة سلام مع اسرائيل . ولم يكن من النادر أن يسمع فى الاوساط المقربة من الجنرال شارون، انه من غير معاهدة سلام « سنبقى فى جنوب لبنان وستبقى سوريا فى وادى البقاع وسيجد الجميل نفسه رئيسا لمنطقة بيروت » . كان للجريدة الاسرائيلية المستقلة هآرتس ردة فعل عنيفة . ففى افتتاحية نشرت بعد يومين من تصريح الجنرال شارون ، أنبته على « فرماناته القيصرية وتهديداته » وشبهته « بوال رومانى يحاول أن يملى على لبنان سياسته الخارجية » .

بدا أن وزير الدفاع لم يتأثر بهذه الملاحظات بل بالعكس ، وحتى يظهر عزمه جيدا ، وسع فى جنوب لبنان منطقة نفوذ سعد حداد وهو الرائد المنشق عن الجيش اللبنانى ، المرتبط كلية باسرائيل والحليف المطلق لها . وطبقا لاوامره ، منع الجيش الاسرائيلى القوات الكتائبية من الزحف نحو

الجنوب . حتى أن الجيش الاسرائيلى فى أول أيام أيلول — سبتمبر ، عمـد الى منع مهرجان سياسى للكتائب فى صـيدا اذ كانوا قـد رفضوا حمل اللافتات التى تطالب بتوقيع معاهدة سلام بين لبنان واسرائيل .

فى يوم ١٢ أيلول — سبتمبر أدلى بشير الجميل بحديثه الاخير الذى نشرته المجلة الاسبوعية الامريكية «تايم» فى عددها الصادر ٢٠ أيلول — سبتمبر ، وأكد فيه مجـددا بأن السلام مع اسرائيل « سيأتى فى حينه » وحدد الهـدف ذا الاولوية وهو أن تستعيـد الحكومة اللبنانية سلطتها ومسؤوليتها الامنية على « كافة الاراضى اللبنانية » .

فى اسرائيل ، فهم من هذا التصريح أنه تعبير عن الرغبة فى طرد سعد حداد من الجيوب التى يحتلها كما أنه يلمح الى مثوله امام المحاكم بتهمة الفرار، على حين كان مناحم بيجن قـد نبه الجميل ، خلال لقاء نهاريا الليلى ، الى انه لن يسمح بأى عمل غير مناسب ضـد محميه ، معلنا بلهجة التهديد :نحن ندافع عن أصدقائنا . أمام الموقف الذى بدا أن الرئيس اللبنانى الجديد قـد تبناه ، كان الجو فى دوائر المسؤولين الاسرائيليين يميل الى السوداوية . بدأ بعضهم يقول بوضوح : لقـد رفعنا الجميل بسواعدنا الى السلطة ويريد الآن ان ينطلق على حسابنا . وبالفعل ، كان هناك حتى الآن اتجاهان بارزان عند القادة الاسرائيليين . الاتجاه الاول يحـذر تقليديا من بشـير الجميل ويتهمه بأنه لا يعرف الا ان يأخذ ، دائما وباستمرار ، دون ان يقـدم أى مقابل. أما الاتجاه الثانى فكان يعتبر بالعكس انه لن يستطيع « تسديد الديون » الا بعـد وصوله لهدفه ، أى للسلطة ، بالمساعدة الاسرائيلية ، وهذا الاتجـاه الاخير كان دون شك يرى موقفه يضعف ساعة تلو الاخرى .

الانفجار الذى هز حى الاشرفية أنهى النقاش ، وخـلق وضعا جديدا تماما . وصل نبأ الاعتـداء على الجميل الى طاولة الجنرال شارون بعـد وقت وجيز من وقوعه . قـرر شارون فورا الاستفادة من الوضع والدخـول الى بيروت الغربية . فمنذ بداية الحرب وهو يتمنى احتلال القسم الغـربى من العاصمة اللبنانية . حسب الخطة الاولى كان من المفروض أن تدخلها القوات الكتائبية فى نهاية الاسبوع الاول للحرب بعـد أن تكون قـد وصلت اسرائيل الى أبواب المدينة . غير أن « الحلفاء الكتائبيين » لم يفوا بشروط العقـد المسنـدة إليهم سواء بسبب الضعف أو لاغراض سياسية . وكانت القوات الفلسطينية قـد تنظمت فى هـذا الوقت وعززت مواقعها داخل بيروت الغربية وأصبح هناك خطر بأن يتكبـد الاسرائيليون خسائر ضخمة فى حـال ما اذا تقرر الهجوم . ولكن ليس هذا ما جعل الجنرال شارون يتخلى عن رأيه .

فقــد روى بعدها ، بعض الضباط الاسرائيليين الكبار من الذين ساهموا فى حصار بيروت ــ ومن بينهم العقيد ايلى حيفا الــذى قــدم استقالته آخر شهر تموز ــ يوليو احتجاجا على الهجوم المرتقب ضد بيروت الغربية ــ أن التحضيرات للهجوم كانت قــد استكملت فعلا خلال الحصار الطويل ولم يكن ينقص الا الاوامر للتنفيــذ . كانت كل وحــدة مكلفة باحتلال حى أو مجموعة بنايات وكانت قــد تلقت تدريبا خاصا لهذا الغرض . ومما جاء فى اقوال نفس هؤلاء الضباط أن شارون كان يدفع بالسياسيين كى يعطوا الضوء الاخضر لهذه العملية . فى هــذا الوقت كانت الاسرة الدولية تتحرك وتتوصل الى الحل القاضى بانسحاب قوات منظمة التحرير الفلسطينية والقادة الفلسطينيين من بيروت تحت حماية قوة لفك الاشتباك أميركية ــ فرنسية ــ ايطالية . وتم يوم ٢١ آب ــ أغسطس انزال أول عناصر فرنسية فى المرفأ . وأصبح حينئذ دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية مستحيلا على الاقل طوال فترة بقاء وحدات القوة الدولية فى المدينة .

حينئذ ، تدخلت اسرائيل لدى الولايات المتحدة كى تنفــذ وعدها بسحب قوات مشاة البحرية بأسرع وقت ممكن بعــد نهاية الخروج الفدائى فى الاول من ايلول ــ سبتمبر بينما كان القادة اللبنانيون يقومون بالعكس بمحاولات عديدة وفاشلة لدى السلطات الفرنسية كى تبقى على قواتهــا فى المدينة لمساعدة الجيش اللبنانى فى السيطرة على بيروت الغربية .

يوم ١٣ ايلول ــ سبتمبر ، عشية مقتل بشير الجميل ودخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية ، غادر المدينة آخر ٨٥٠ مظليا وجندى مشاة (فرنسيين) من قوة فك الاشتباك قبل نهاية المهمة الموكولة اليها بعشرة أيام . سيقول نائب رئيس الاركان الاسرائيلى ، الجنرال موشى ليفى ، فى مقابلة اذاعية بمناسبة العام اليهودى الجديد ، بعــد يومين من دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية : « كان واضحا تماما لدينا أن من واجبنا ، عاجلا أو آجلا ، التحقق بأنفسنا وعلى الارض عما اذا كان المخربون قــد غادروا فعلا بيروت الغربية » . زئيف شيف ، مراسل هآرتس العسكرى المرموق فى اسرائيل ، سيكشف فيما بعــد أن الجيش الاسرائيلى كان قــد قرر الوصول الى مركز قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى قبل مقتل بشير الجميل للقبض على القادة الفلسطينيين الذين قــد يجدونهم هناك ، وأساسا من اجل الاستيلاء على الوثائق الباقية . على العموم ، كان الفلسطينيون قــد تنبهوا الى هــذا الاحتمال واحتاطوا فوضعوا أهم وثائقهم على الميكروفيلم وأخذها رجالهم .

فى مقابلة أجرتها معه الصحفية الايطالية أوريانا فلاتشى (Oriana Fallaci) قبل اسبوعين من دخول جيش الدفاع الاسرائيلى الى بيروت الغربيه كان شارون يكذب انه فكر فى الهجوم يوما ما . لكنه تابع قائلا : « لو كنت مقتنعا بضرورة دخولنا الى بيروت الغربية لما أوقفنى احد . ديمقراطية .. أم لا ، كنت دخلت حتى من دون موافقة حكومتى . » فى اسرائيل كان تصريحه بمثابة القنبلة لدرجة انه كذب هذا التصريح وقال انه ورد خطأ . لكنه تصرف على هذا الشكل ذلك اليوم فى ١٤ أيلول — سبتمبر . فور الاعلان عن الاعتداء على الرئيس اللبنانى ، قام بالتجهيزات للدخول الى المنطقة الغربية من المدينة . أرسل رئيس أركانه الى بيروت الشرقية . أحد ضباط قوى الامن اللبنانية كان موجودا فى منطقة مطار بيروت الدولى وكشف بعدها لوكالة الصحافة الفرنسية أن جسرا جويا اسرائيليا كان قد ابتدأ بالعمل يوم ١٤ أيلول — سبتمبر منذ الساعة السادسة مساء . منذ تلك اللحظة كان يتم انزال الدبابات والرجال . عند الاعلان الرسمى عن وفاة بشير الجميل اتصل شارون برئيس وزرائه ، وقرر كل منهما احتلال بيروت الغربية دون التشاور المسبق مع الحكومة . كان وزير الخارجية اسحاق شامير الوحيد الذى أحيط علما بهذا القرار ودعمه .

للمرة الثانية منذ نشوب الحرب يؤخذ قرار ذو اهمية جوهرية دون العودة الى الحكومة ودون نقاش مسبق . المرة الاولى التى وضعت فيها الحكومة أمام الامر الواقع كانت عند دخول الجيش الاسرائيلى الى بيروت الشرقية . وبعد حين ، سيتكلم شارون عن القرار الخاص بدخول بيروت الغربية « كواحد من اهم القرارات التى اتخذت خلال حرب لبنان » .

فى مكتب الجنرال شارون بوزارة الدفاع فى تل ابيب ، تبسط خريطة هيئة أركان ، سبق ورسمت عليها العملية الكاملة للسيطرة على بيروت الغربية. على هامش الخريطة الاعلى يمكن قراءة الاسم الشفرى للعملية : « الرأس الحديدى » . أخيرا تلقت هيئة الاركان العليا لجيش الدفاع الاسرائيلى الامر المنتظر . لن يعلم أعضاء الحكومة والسكان بقرار الدخول الى بيروت الغربية والقيام بتنفيذه الا فى اليوم التالى عندما ستنقل النبأ اذاعة صوت اسرائيل .

صرح الجنرال رفائيل ايتان الملقب « رفول » فى مقابلة لجريدة معاريف بعد يومين من الدخول الى بيروت الغربية : « نحن الآن فى الداخل سننظف بيروت الغربية وسنجمع كل الاسلحة ونوقف المخربين تماما مثلما فعلنا فى صيدا وصور وفى كل أنحاء لبنان . سنعثر على كل المخربين وعلى قادتهم .

سندمر كل ما يجب تدميره . وسنوقف من يجب توقيفهم . سنخرج من بيروت بعد ابرام اتفاقية وبعد تحقيق أهدافنا فى كل لبنان . عندما سننسحب من كل الاراضى اللبنانية حيث يمكث اليوم جيشنا حينئذ سننسحب أيضا من بيروت . لكن طالما لم تطرد بعد من لبنان كافة القوى الاجنبية فلن نتراجع ولو عن شبر واحد حتى فى بيروت » .

فى هذا اليوم الرابع عشر من ايلول — سبتمبر ، فى ساعة متأخرة من الليل ، تتمم القوات الاسرائيلية استعداداتها . وفى الساعة الحادية عشرة ليلا يصل الجنرال ايتان الى مركز القيادة الاسرائيلية فى كفرسيل ويتفحص مع كبار الضباط خطة احتلال بيروت الغربية .

الاربعـــاء ١٥ أيلول ـــ ســـبتمبر

اسرائيل تحتــل عاصمة عربية :

الجنرال أمير دروري رجل ذو أهمية خاصة فى هيئة الاركان الاسرائيلية . انه قائد منطقة شمال اسرائيل ولديه كذلك كامل الصلاحيات على الجـولان والمناطق المحتلة فى لبنان منذ بداية الحرب . فى يوم الاربعاء هذا وبعد نصف ساعة من لحظة الصفر عهـد اليه بمهمة جديدة الا وهى الاستيلاء على جميـع المراكز الحيوية فى بيروت الغربية .

يتم تدعيم الجسر الجوى الاسرائيلى . فى مطار بيروت الدولى الذى يحتله الاسرائيليون تهبط طائرات النقل من طراز هركول (Hercule) واحدة تلو الاخرى يتم انزال أطنان من المعدات وكذلك وحدات من المظليين تنقلهم فورا سيارات الركاب الى مناطق اختراق بيروت الغربية . هذه الوحدات جميعها من القوات العاملة . الوقت لا يسمح لتعبئة الاحتياطى . سيصرح بعد حين رفاييل ايتان رئيس الاركان : « لم يحصل أبدا فى تاريخ جيش الدفاع الاسرائيلى أن تمت عملية بمثل هذا الحجم وبالسرعة التى تمت بها » .

فى الساعة الثالثة والنصف فجرا وقبل الدخول الاسرائيلى الى بيروت الغربية ، عقد اجتماع جوهرى فى مركز قيادة القوات اللبنانية ، انها مليشيات اليمين المسيحى الموحدة التى كان قد أسسها وقادها سابقا بشير الجميل . اشترك فى الاجتماع عن الجانب الاسرائيلى الجنرال ايتان دروري . وكان يمثل الميلشيات المسيحية أهم قادتها العسكريين وعلى رأسهم فادى افرام قائدها العام والياس حبيقه المسئول عن الاستخبارات . اتموا معا تفاصيل اشتراك الميلشيات المسيحية فى عملية السيطرة على بيروت الغربية . يوم ٢٢ سبتمبر ـــ أيلول سيكشف آرييل شارون امام البرلمان الاسرائيلى الكنيست ان فى هذا اللقاء « طرح للنقاش مبدأ دخول الكتائب الى مخيمات اللاجئين فى بيروت » . فى نهاية الاجتماع اعترف قائد عســكري كتائبى للاسرائيليين : « كنا ننتظر هذه اللحظة منذ سنوات » .

ايضا وحسب اقوال الجنرال شارون ، فقد تلقى حينئذ « قائد الجبهة الشمالية الاسرائيلى التعليمات الاتية » : تمنع قوات جيش الدفاع الاسرائيلى من الدخول الى مخيمات اللاجئين . سيتم تمشيط وتنظيف المخيمات على يـد الكتائب أو الجيش اللبنانى .

وبالفعل تم على وجه السرعة خلال النهار ، تحضير دخول الكتائب الى المخيمات فقد وضعوا علامات مميزة على جدران المبانى حـروف م . ب (الشرطة العسكرية Military Police (M. P) ومثلت داخل دائرة وهو رمز القوات اللبنانية وكذلك أسهم تشير الى محور اختراقهم ابتداء من مخرج الشويفات فى جنوب ـ شرق بيروت حتى السفارة الكويتية باتجـاه مخيمات اللاجئين . سيشهد سكان عديدون من بيروت الغربية بعـد ذلك على أن القوات اللبنانية كانت قد نظمت خـلال السـاعات الاولى للهجوم الاسرائيلى هذه العملية حتى تعرف بدقة الطريق الواجب اتباعه لكل من فى قواتها ممن لا يعرف المدينة .

بدا الاختراق الاسرائيلى فى الخامسة عند الفجر . تلقت القوات اوامر تقضى بتجنب اية اراقة لدماء المدنيين والا تطلق النيران الا فى حـال مواجهة مقاومة مسلحة . يتقدم المشاة ببطء خلف الدبابات ، من بناية الى بنايـة ، ويصادفهم احيانا المستيقظون الاوائل بين المدنيين . هدفهم الاول كان هـو السيطرة على مفترقات الطرق وعلى أعلى البنايات التى تسمح بالسـيطرة على الجوار .

بعد الشروق بقليل ابتدات الطائرات الحربية الاسرائيلية بالمرور المتكرر وعلى علو منخفض فوق بيروت ، فى عرض مؤكد للقوة ، لكنها لم تشـترك بالمعارك . فى حى الفاكهانى ، جنوبى بيروت الغربية حيث كان مقر قيـادة منظمة التحرير الفلسطينية حتى مغادرة الفلسطينيين ، وبعد أول طلعـات للطيران ، ترك مهجرو المعارك السابقة مراكز التنظيمات الفلسطينيـة حيث كانوا قد لجأوا وتكوموا فى الجوامع المجاورة تحسبا من القصف المحتمل .

استولت القوات الاسرائيلية بسرعة على بعض المواقع الاستراتيجية التى كان قد احتلها جنود القوة الدولية لفك الاشتباك خلال اقامتهم وكان قد تسلمها منهم الجيش اللبنانى عند مغادرتهم . وها هو الجيش اللبنانى يتراجع فورا أمام التقدم الاسرائيلى ويحتمى خلف الابنية الامنة او فى اماكن بعيـدة لمراقبة القوات الاسرائيلية التى تقدمت على خمسة محـاور محاصرة بيروت الغربية من الضاحية الجنوبية حتى المرفأ شمالى المدينة .

فى الصباح تقدم الاسرائيليون :

١ ــ على طول الطريق الساحلى ، من الاوزاعى متجهــين الى الشمــال حتى كورنيش المزرعة الذى يقطع المدينة من الشرق الى الغرب .

٢ ــ على الطريق الذى يمر غرب مخيمى صبرا وشاتيلا باتجــاه المدينة الرياضــية .

٣ ــ شرقى المخيمات باتجاه ميدان سباق الخيل .

بعد الظهر تقدموا على محورين جديدين :

٤ ــ من المرفأ باتجاه الغرب حتى قلب حى الفنادق الكبرى .

٥ ــ على ممر المتحف ، من الشرق الى الغرب .

كانت المقاومة امامهم ، من اضــعف ما يمكن : بعض الرشــقات من المدفعية الخفيفة والقواذف المضادة للدروع (ر.ب.ج) . عند رصــدهم لاماكن المقاومة ، كان الاسرائيليون يوجهون الدبابات ويقصفون فورا . أيضا كانت زوارقهم البحرية تبدأ بقصف أهداف مجاورة للشاطىء . الاوامر تضع فى الاولوية تجنب أية خسارة بشرية فى صفوف القوات الاسرائيلية . يخاف شارون ، قبل كل شىء من أن تكون الحصيلة جسيمة تكدر نجاحه . وبالفعل فان محصلة اليوم الاول كانت محدودة جدا : قتيلان وخمسون جريحا . ويشير احصاء الاسرائيليين عن كل عملية الاحتلال لبيروت الغربية ، الى ســبعة قتلى وحوالى المئة جريح كذلك فان الاعداد التى أبرزتها الصحف المحليــة تقارب المئة قتيل و ٣٠٠ جريح وهذا عدد زهيد القيمة لو قارناه بآلاف الضحايا التى قتلت منذ نشوب الحرب .

وفى الساعة التاسعة ، حضر آرييل شارون ليقود بنفسه متابعة الاختراق الاسرائيلى . استقر فى مركز قيادته على سطح مبنى كبير عند تقاطع السفاره الكويتية حيث كان يستطيع أن يراقب تماما المدينة ومخيمى صبرا وشاتيلا . اتصل بمناحم بيجين بحضور الجنرالين ايتان ودرورى وأعلمه بأن : « قواتنا تتقدم نحو أهدافها ، أستطيع مشاهدتها بأم عينى » .

خلال النهار ، توجهت قوات جديدة الى بيروت . نقلت الطوائف الاسرائيلية كتائب عديدة من لواء « جولانى » الى مطار بيروت الدولى . ولحقت بها دبابات الكتائب المدرعة التابعة لنفس اللواء بقيادة العقيد ايلى جيفا حتى استقالته . ان مقاومة بعض العناصر اليسارية اللبنانية — الذين قرروا التصدى عند دخول الجيش الاسرائيلى دون انتظار التعليمات من أحزابهم — هذه المقاومة لا يمكن الا أن تكون رمزية أمام الآلة الحربية الاسرائيلية الرهيبة . هذه العناصر المسلحة لم تفتقد الـ ١٥٫٠٠٠ مقاتل وجندى فلسطينى وسورى الذين كانوا الى جانبهم فحسب ، بل ان تدمير المنشآت العسكرية على خطوط التماس ونزع الالغام من هذه المنطقة كان قد يسر الطريق أمام الدبابات الاسرائيلية .

وقعت بعض الاشتباكات شمالى مخيمات اللاجئين مع ميلشيات القوات التقدمية والاسلامية التى أصبحت موحدة تحت لافتة « القوات اللبنانية الوطنية » . لكن فيما عدا الاستثناءات النادرة كان الجيش الاسرائيلى يتابع تقدمه حسب الخطة المرسومة ودون مفاجآت . حتى ان الجنرال شارون وجد الوقت ، حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا ، كى يتوجه الى بكفيا ويتقدم بالتعازى الى الجميل . وردا على سؤال ، صرح فى هذه المناسبة : « ان التاريخ لا يحدده هذا الرجل أو ذاك » حسب الشهود ، فقد استقبل بجفاء شديد . ومن قبل كان مبعوث خاص قد سلم الى شيخ الاسرة ، بيار الجميل ، برقية من مناحم بيجين يصف فيها الابن القتيل « بالوطنى الكبير الذى كافح من أجل حرية لبنان واستقلاله » .

كانت الاوامر قد أعطيت للقوات الاسرائيلية بأن يتم مع تقدمها نزع اسلحة كل الميلشيات الاسلامية واليسارية . هكذا ، وبعد رحيل الفلسطينيين لن يبقى الى جانب الجيش الرسمى الضعيف سوى قوة عسكرية منظمة واحدة : القوات اللبنانية التابعة لليمين المسيحى . وبهذا أصبحت الكتائب فى وضع جديد تماما ، وضع لم يجرؤوا على تصوره فى أفضل أحلامهم . فيما بعد قدم العقيد زفى البيليج (Zvi Elpeleg) ، المستشرق والحاكم الاسرائيلى السابق لمدينة النبطية ، التفسير التالى « المفارقة فى المجتمع اللبنانى هى أن تسلح المدنيين الدائم شكل عاملا للتوازن والردع المتبادل . ودخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية قلب المعطيات الراهنة . لقد قامت هذه القوات بنزع السلاح من آلاف المواطنين ، بينهم اعضاء حركة « أمل » الشيعية كان معظمهم مجرد عمال أو فلاحين اشتروا سلاحهم بالمبالغ القليلة المدخرة، من أجل الدفاع عن النفس وقد وجد هؤلاء أنفسهم مجردين تماما وتحت رحمة الكتائب (معاريف ، ٢٦ أيلول — سبتمبر ١٩٨٢) .

منذ بداية اختراقهم لبيروت الغربيـــة ابتدأ الاسرائيليون بالبحث عن مستودعات الاسلحة التى بقيت فى مكانها بعـــد جلاء المقاتلين الفلسطينيين . ونذكر أن الاسرائيليين كانوا قد منعوا الفدائيين من حمل أسلحتهم الثقيلـــة بعكس وحدات الجيش السورى التى استطاعت الخروج من المدينة بكـــامل معداتها . ونذكر أزمة دبلوماسية قد حدثت خلال عملية الجلاء عندما حـــاول الفلسطينيون شحن بعض السيارات العسكرية واضطروا للتخلى عنها فى قـــبرص حتى يسمح لهم بتكملة ســـيرهم ، كان على الفلسطينيين ، بموجب « اتفاقيات حبيب أن يسلموا أسلحتهم الى الجيش اللبنانى بالتتابع خـــلال عملية الجلاء . لكن الجيش اللبنانى لم يبد حماسا خاصا ولم يدخل الى بيروت الغربية الا ببطء شديد . بحيث أنه عند سيطرة الجيش الإسرائيلى عـــلى المدينة كان مازال يوجد فيها مستودعات عديدة للاسلحة الثقيلة ، ويبدو أن قسمـــا منها كانت منظمـــة التحرير الفلسطينيـــة قـــد سلمته الى الميليشيات اليســـــارية .

فى صفوف الاسرائيليين ، كان هناك من يعلم تماما أين سيجد المستودعات وهم من عملاء المخابرات الذين كانوا يعملون منذ سنوات فى بيروت الغربية . وهكذا شاهد الناس المذعورون بائعا متجولا لاشرطة الكاسيت وهو رجـــل مشرد لقب « بأبو الريش » وكان يعرفه الجميع ويعتبرونه مجنونا غير مؤذ ، وكذلك رجل مطافىء وحارس بناية ، وأرباب أسر طيبين ، وهم يرشـــدون الوحدات الاسرائيلية ويدلونها على مخابىء الاسلحة وعلى المشبوهين .

لقد أثار نبأ دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية موجة من الاستنكار فى العالم كله . الاسرائيليون من جهتهم لا يشغلهم فى المقام الاول الا ردود الفعل الاميركية . فى هذا اليوم ، ١٥ أيلول — سبتمبر ، عنـــد الساعة التاسعة صباحا توجه موريس درايبر ، المبعوث الخاص للرئيس ريجان الى مكان رئيس الوزراء فى القدس . جاء ليبدأ البحث حـــول تحقيق البند الثانى من « اتفاقيات حبيب » القاضى بانسحاب جميع القوات الاجنبية من لبنان . نقلت جريدة معاريف أنه قبل أن يستطيع لفظ اية كلمة ، كان مناحم بيجين يستقبله بالعبارات التالية : « يشرفنى سيادة السفير أن أبلغك بأنه منذ الخامسة صباحا قواتنا تتقدم وتأخذ مراكزها داخل بيروت الغربية . هدفنا هو المحافظة على الامن فى المدينة . فالوضع الناجم عن مقتل بشـــير الجميل قد يؤدى الى مذابح » . ولم ينطق بيجين بكلمة واحدة حول النية الاسرائيلية بفتح طريق المخيمات الفلسطينية أمام الكتائب . استفسر موريس داريبر بطريقة ديبلوماسية جدا عما اذا كان هذا الهدف محـــدودا فعلا ..

وبعد الاستماع الى شرح رئيس الوزراء ، ردد مرات عديدة : « يسعدنى ان أسمع ان هذه العملية صغيرة جدا . على العموم ، لقد كان الناطقون الاسرائيليون يؤكدون طوال هذا اليوم أن « العملية محدودة فى أهدافها كما فى مدتها الزمنية » .

حجة مناحم بيجين الاولى وهى ان الجيش الاسرائيلى قد تدخل لمنع المذابح والفوضى العامة فى بيروت الغربية ، كانت تتردد فى كل التصريحات الاسرائيلية . وفى اليوم التالى سيأخذها أيضا على عاتقه بيان الحكومة الرسمى . ولن يتقدم آرييل شارون بتفسير آخر الا بعد حين . سيصرح فى مقابلة تليفزيونية يوم ٢٤ ايلول — سبتمبر أن جيش الدفاع الاسرائيلى اضطر الى احتلال بيروت الغربية « لان المخربين كانوا قد خلفوا وراءهم آلاف الرجال وكميات ضخمة من الاسلحة ومراكز قيادة وقياديين » . بعد ذلك ، سيشير رفاييل ايتان هو الاخر فى مقابلة لمعاريف الى « آلاف المخربين المسلحين والمختبئين فى بيروت وفى مخيمات اللاجئين » بينما كان هو نفسه ، رفاييل ايتان ، قد أكد فى تصريح أمام لجنة الكنيست للشؤون الخارجية والدفاع ، (نقلته هآرتس بتاريخ ١٥ ايلول — سبتمبر) ، وقبل بضع ساعات من مقتل بشير الجميل . ودخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية ، أنه « لم يتبق فى بيروت الا بضعة مخربين ومكتب صغير لمنظمة التحرير الفلسطينية » .

فى الواقع ، نعلم اليوم ان الاسرائيليين لم يوقفوا ولم يتعرفوا خلال الاسبوعين الذين استغرقهما احتلالهم لبيروت الغربية (من ٩/١٥ الى ٩/٢٩) الا عددا لا يذكر من الفدائيين رغم تمشيطهم الدقيق للمدينة . لقد رفض الناطق باسم الجيش الاسرائيلى الادلاء برقم صحيح لكن مصادر عسكرية أكدت أن عدد المقبوض عليهم لم يتجاوز فى النهاية بضع عشرات وحسب قول نائب وزير الخارجية الامريكى ، نقولا فيليوتس (Nicholas Veliotes) نفسه فان التقارير التى قدمتها اسرائيل والمتعلقة بعدد الفدائيين المتبقين فى بيروت بعد تطبيق اتفاقية الجلاء — حوالى الالفين — لم تكن الا مبررا للسيطرة على هذا الشطر من المدينة . امتنع البيت الابيض ووزارة الخارجية الاميركية عن ادانة التقدم الاسرائيلى وتم التشديد على ضرورة اعادة استتباب الامن والاستقرار . لاريب أن واشنطن قد طالبت بانسحاب القوات الاسرائيلية من العاصمة اللبنانية لكن فقط ضمن اطار الانسحاب المتزامن للقوات السورية والفلسطينية الموجودة فى لبنان . لقد أقرت وزارة الخارجية بأن الولايات المتحدة لا تطلب الانسحاب الفورى وغير المشروط للقوات

الاسرائيلية التى دخلت الى بيروت الغربية مع ان ذلك يشكل خرقا«لاتفاقيات حبيب » . وصرح الناطق الرسمى باسم وزارة الخارجية ، جون هيوز (John Hughes) : « نريد ان تسحب اسرائيل قواتها لكننا لن نحدد سبل مثل هذا الانسحاب » : واضاف « كنا نفضل أن نحاط علما بالعملية لكننا نقبل التأكيدات التى قدمتها لنا الحكومة الاسرائيلية خلال الساعات الاخيرة » .

فى الواقع ، فان دهاليز وزارة الخارجية كانت تبدى تفهما واسعا للدوافع التى جعلت اسرائيل تدخل الى بيروت الغربية . ولقد شدد دبلوماسى اميركى فى واشنطن فى تصريح نقلته **وكالة الصحافة الفرنسية** على أن « مقتل بشير الجميل كان قد خلق وضعا متفجرا للغاية فى المدينة ولذا كان يجب منع العناصر المسلحة بأى ثمن من محاولة الاستفادة منه » .

مع مرور الساعات بدأت وسائل الاعلام الاسرائيلية والدولية بالكشف عن حجم الحدث . لم يعد الموضوع هو عملية هادفة فقط الى الفصل بين الفرقاء لمنع الاضطرابات أو المجازر بل أصبح الموضوع هو السيطرة الفعلية والكاملة على المدينة . وفى هذه اللحظة فقط ، قام وزير الخارجية جورج شولتز ، فى واشنطن باستدعاء السفير الاسرائيلى موشى ارنس ليسأله بلهجة اقل تسامحا بكثير عن اهداف حكومته الحقيقية وعن المهلة المقدرة لاخلاء بيروت .

فى اسرائيل كانت المعارضة الاسرائيلية ومنذ البداية ، اكثر قلقا بكثير من الامريكيين فيما يتعلق بالعملية التى نظمها الجنرال شارون . كذلك كان حال بعض الوزراء الذين علموا بدخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية من الاذاعة وكانت ردود فعلهم عنيفة . شجب أحدهم (وهو برغب بأن يبقى اسمه مجهولا) أمام المحرر الديلوماسى لجريدة **هارتس** هذه « الفضيحة التى لم يسبق لها مثيل » (**هآرتس** ١٩٨٢/٩/١٦) . ورأى آخر ان وزير الدفاع انقض على هذه الفرصة ليحقق ما كان يريد ان يفعله منذ زمن طويل دون أن يحظى بموافقة الحكومة . وذكر بعض الوزراء بأن مناحم بيجين كان قد تعهد بالحصول على تأييد الحكومة لاى قرار يتعلق بالدخول الى بيروت الغربية ، وتابع طبعا أنه أخلف الوعد .

أكدت الصحيفة العمالية **دافار** فى افتتاحيتها أن « مكان جيش الدفاع الاسرائيلى هو خارج بيروت » . وشجب شمعون بيريز رئيس حزب العمال هذه « العملية غير المحسوبة » وطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية

من بيروت الغربية لتحل مكانها قوات دولية جديدة . وقد وصفت أوساط رئيس الوزراء اقتراحات مسؤول حزب العمل بأنها « حمقاء » .

لقد ذهل قادة م . ت . ف عند الاعلان عن الدخول الاسرائيلي الى بيروت الغربية . فهم كانوا قد حصلوا على ضمانات موقعة رسميا من المبعوث الاميركي فيليب حبيب تقضي بتأمين الحماية لاسرهم بعد ذهاب المقاتلين . وقد أدلى رئيس الدائرة السياسية فاروق القدومي بالتصريح التالي « كان قد اعطى لنا وعد شرف بأن اسرائيل لن تدخل الى بيروت الغربية وقد انتهك هذا الوعد » . وصرح صائب سلام ، رئيس الوزراء اللبناني السابق الذي لعب خلال أسابيع دور الوسيط للتوصل الى ابرام « اتفاقيات حبيب » ولايجاد صيغة مشرفة لخروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت ، صرح هو أيضا أن الدخول الاسرائيلي الى الشطر الغربي من المدينة يشكل انتهاكا للاتفاقيات المبرمة . لقد أكد موظفون كبار في وزارة الخارجية الاميركية الرأى الذي اعرب عنه صائب سلام . « لقد خانت اسرائيل ثقتنا » هذا ما أكده من جانبه رئيس الوزراء اللبناني الحالي ، شفيق الوزن .

على الساحة حاول الجيش الاسرائيلي دفع الجيش اللبناني الى المشاركة في العملية دون أن يفلح : رفض المسؤولون العسكريون اللبنانيون أى شكل من التعاون وبالاخص الاقتراح بالدخول الى مخيمات اللاجئين في جنوب المدينة. قابل الجنرال دروري مساعد قائد الجنود اللبنانيين الموجودين في المنطقة ، العقيد ميشيل عون وأكد له هذا الاخير أنه تلقى أوامر من شفيق الوزان تقضي بأن يرفض أى شكل من التعاون مع الجيش الاسرائيلي وان يأمر باطلاق النار على القوات الاسرائيلية المتقدمة الى داخل بيروت الغربية ، وفي حال عدم انصياعه لهذه الاوامر فقد يمثل أمام المحكمة . وشرح العقيد عون أن الجيش اللبناني الذى أعيد تشكيله منذ فترة قصيرة والذى بدأ بالكاد يكسب ثقة المسلمين لن يلوث سمعته بالتعاون مع القوات الاسرائيلية الغازية لبيروت الغربية ، والجيش اللبناني لديه خطته الخاصة للسيطرة على المدينة والمخيمات الفلسطينية . وهكذا كان قد دخل قبل أسبوع مخيم برج البراجنة دون صدام ودون أن يثير الاضطرابات . وحسب هذه الخطة كانت السيطرة على مخيمى صبرا وشاتيلا الواقعين في الشمال ، لن تتم الا بعد حين .

قرر الجيش الاسرائيلي أن يخالف هذه الخطة . فمنذ ساعة الظهيرة ، ومخيما صبرا وشاتيلا اللذان لا يفصلهما خط محدد يحاصران بالدبابات الاسرائيلية التى صوبت مدافعها نحوهما . وأحاط الجنود الاسرائيليون بعد قليل المخيمين بمراكز للمراقبة تسمح بالاشراف على حركة الدخول والخروج .

تصاعد القلق داخل المخيمين والاكثرية العظمى من السكان قبعت فى منازلها . لم يتبق اى مظهر يدل على الوجود السابق للفدائيين الذين كانوا قد دافعوا عنهم تلك الفترة المديدة والذين صمدوا أمام الحصار الاسرائيلى لبيروت الغربية خلال أسابيع طويلة ، لم يتبق الا بعض الملصقات القديمة على جدران المنازل المهدمة . رفض اللاجئون الفلسطينيون فى المخيمين وأغلبيتهم من الشيوخ والنساء والاطفال ، أى صدام مع الجيش الاسرائيلى تجنبا العمليات الثأرية فى حين أن عملية اعادة بناء المنازل التى هدمها القصف فى شهر آب ـ أغسطس كانت قد ابتدأت منذ برهة قصيرة وان فصل الامطار كان يقترب . منذ رحيل المقاتلين الفلسطينيين اختفى من المخيمات أى أثر للتنظيم المسلح .

فى ساعات الظهر الاخيرة وفى أول ساعات المساء أطلق الجيش الاسرائيلى بضع قذائف باتجاه صبرا وشاتيلا . فيما بعد سيشهد الدكتور بير ميلمشاجن Per Maehlumshagen ، وهو جراح مقيم كان يعمل فى مستشفى غزة الواقع غربى مخيم صبرا ، سيشهد ان الجرحى الاوائل وعددهم يجاوز ١٥ شخصا كانوا قد قدموا الى المستشفى منذ مساء يوم الاربعاء . وجرحى آخرون ، عامة من ضحايا القناصة كانوا قد وصلوا مساء الى مستشفى عكا الواقع على الجانب الاخر من الطريق المحيط بمخيم شاتيلا جنوبا .

روى زكى ، وهو عامل كهرباء من صبرا أنه توجه مع بعض السكان الى موقع اسرائيلى لشرح مخاوفه من أن تقوم مجموعات لبنانية مسلحة بالاعتداء عليهم . وقد طمأنهم الجنود الاسرائيليون فى ذلك الحين واكدوا لهم أنه لن يحدث لهم شىء « طالما أنهم من المدنيين وليسوا من المخربين » ومن ثم أمروا بالعودة الى منازلهم .

بعد هبوط الليل بقليل ، انقطع التيار الكهربائى فجاة عن كل بيروت الغربية وأصبحت المدينة بعدئذ فى ظلام كامل شامل . لقد روى جندى اسرائيلى شاب فى التاسعة عشرة من عمره ان وحدته قد تلقت حوالى الساعة العاشرة مساء ، أمرا بمباشرة اطلاق الصواريخ المضيئة فوق مخيمى صبرا وشاتيلا بعد منتصف الليل . ابتداء من الساعة صفر ، كانت رشقات نارية متفرقة تقطع الصمت من وقت الى آخر داخل المخيمات . بالنسبة لسكانها كانت نهاية يوم آخر ، اليوم الرابع بعد المئة فى الحرب الاسرائيلية ـ الفلسطينية .

الخميس ١٦ أيلول ـ سبتمبر

« أصدقاؤنا يدخلون المخيمات »

« تهانينــــا ! »

كان الجيش الاسرائيلي قد انهى مهمته في حوالى الثلاثين ساعة وسيطر على كافة أنحاء بيروت الغربية . يوم الخميس ، في الصباح الباكر سقط بين يديه حي الحمرا التجـاري . وخلف مـرور الدبابات الاسرائيلية كثـيرا من الاضرار : بنايات سكنية محطمة ، محلات مدمرة وعربات مهروسة . حي الحمرا الذي كان قد استعاد ببطء ومنذ بضعة أيام فقط مظاهر ما قبل الحرب، عاد الى المعاناة . تضرر مرة أخرى العديد من المحلات التجارية الممتدة على أكثر من كيلو متر والتي كانت قد تمت فيها الاصلاحات الضرورية بعد قصف شهر آب ـ أغسطس . نفس التكتيك يستخدم على كل مفترق الطـرق : يصوب مدفع الدبابة على محور شارع كبير ويطلق النار لفتح الطريق أمـام المشاة . ينتشر هؤلاء بعد ذلك بأعداد كبيرة متجنبين الدخول في الحـواري الصغيرة . أمضى السكان كل فترة قبل الظهر في المخابىء ليحتموا من المدافع الاسرائيلية أو من قاذفات الصواريخ التي كانت لدى المليشيات اليسارية . التقى قبل الظهر رتلان من المدرعات والمشاة الاسرائيلية كانا قد انطلقا الاول من المطار والثاني من المرفأ ، بالقرب من السفارة الاميركية في جادة باريس وهي من أجمل شوارع العاصمة اللبنانية .

عند الظهر كانت السيطرة تامة على بيروت الغربية . لاول مـرة في تاريخها ، تفتح اسرائيل عاصمة عربية . في مكاتب وزارة الدفاع في تل أبيب، كان يتم الاحتفال بالعام اليهودي الجديد . استغل آرييل شارون الفرصـة ليرفع كأسه معلنا لاتباعه نجاح عمليته . أدلى الناطق العسكري في بيـان بالتصريح التالي : « يسيطر جيش الدفاع الاسرائيلي عـلى كافة المواقـع الاستراتيجية في بيروت . وقد تمت محاصرة مخيمات اللاجئـين ، بما فيها تجمعات المخربين ، واغلاقها » . وأشار تقرير عن العمليات أرسل الى هيئة الاركان في تل أبيب الى أنه لم يتبق الا بعض « جيـوب للمقاومـة » لم يمكن تنظيفها بعد . والاماكن المشار اليها هي حي الفاكهاني حيث كانت مكـاتب م . ت . ف . ومخيمي صبرا وشاتيلا .

أيقظ سكان المخيمين منذ الفجر صوت يصم الاذان حيث كانت الطائرات تجول على ارتفاع منخفض جدا . أحكم الحصار على المخيمين واخذ القناصة مواقعهم حواليهما وبدأوا يختارون أهدافهم فى الازقة وبعد قليل وصلت القذائف الاولى التى أطلقت من المرتفعات المجاورة . طوال النهار تدفق الجرحى الى مستشفى غزة حيث كان الاطباء والمرضات يعملون دون انقطاع . أرسلت مجموعة منهم الى مستشفى المقاصد الواقع على بعد ٥٠٠ متر .

كانت ميليشيات الكتائب تنهى ترتيباتها منذ بداية الصباح لاحتلال المخيمات . بعد محادثة مع آرييل شارون ، طلب رفاييل ايتان من الجنرال دروری ان يتحقق بنفسه ان كانت الكتائب مستعدة فعلا للدخول اليها . وحوالى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، التقى هذا الاخير فى مركز قيادته ، قائد القوات اللبنانية فادى افرام ، وسأله ان كان رجاله قادرين على دخول صبرا وشاتيلا . وكان جواب القائد الكتائبى : « نعم ، فورا » حينئذ أعطى الضوء الاخضر .

تركت القوات الكتائبية قواعدها لتتجمع بالقرب من المطار الدولى . اتجه الى بيروت الغربية حوالى ١٥٠٠ رجل تدلهم الى طريقهم تلك الاسهم والعلامات التى دهنت فى اليوم السابق على جدران المدينة .

عند الساعة الثالثة ظهرا ، التقى الجنرال آموس يارون (Amos Yaron) قائد القوات الاسرائيلية فى بيروت ومعه اثنين من ضباطه ، التقى مسؤول المخابرات فى القوات اللبنانية الياس حبيقة ، وفادى افرام ، رتبوا معا الدخول الى المخيمات استنادا الى صور جوية قدمتها اسرائيل . اكد لهم الجنرال الاسرائيلى أن قواته ستوفر كل المساعدة الضرورية « لتنظيف المخيمات من المخربين » . ثم اتصل الجنرال دروری تليفونيا بآرييل شارون وقال له : « أصدقاؤنا يتقدمون داخل المخيمات . لقد نسقنا دخولهم » . ورد آرييل شارون : « تهانينا . عملية أصدقائنا مصدق عليها » .

لا نعلم أن كان دروری قد أبلغ وزير دفاعه بما قاله له قادة كتائبيون بما يعنى « أن فى المخيمات ستحصل حفلة كسر عظم » . قال شارون أمام الكنيست بعد المجزرة أن المسؤولين العسكريين كانوا قد أوضحوا للكتائبيين أن « قواتهم يجب أن تدخل مخيم شاتيلا من الجنوب لتمشيطه وتنظيفه من المخربين » . وأضاف : « لقد حددنا تماما خلال لقاءات التنسيق أن العملية موجهة ضد المخربين وانه لا يجب المس بالسكان المدنيين ، خاصة النساء والاطفال والشيوخ منهم » .

علم بعـــد حين ، أن عددا من كبار الضباط الاسرائيليين ــ يعرف أسماءهم اليـــوم بعض الصحافيين فى اسرائيل ــ كانوا قـــد أبدوا تحفظات شـــديدة على القرار القـــاضى بالسماح للكاتئبيين بدخـــول المخيمات . وكانوا يوضحون أن اللاجئين الفلسطينيين الذين بقـــوا فى المخيم بعـــد رحيل قـــوات م.ت.ف. : هم الان دون حماية وقـــد يصبحون هـــدفا لعمليات ثأرية دامية من قبـــل الميليشيات المسيحية . وقـــد أعلن الجنرال درورى ، يوم ٢١ تشرين الاول ــ اكتوبر ، فى شهادته أمام لجنـــة التحقيق ، أن أحـــد ضباطه واسمه ريوبين Réouben كان قـــد حـــذره من احتمال وقـــوع مجزرة قـــد تقوم بها الكتائب ضـــد الفلسطينيين .

من الرؤية ليلا . لم يكونوا يحتاجونها فى الواقع حيث كان المكان الذى تمت غيه أهم المجازر يبعـــد عنهم بمئتى متر .. كان المبنى خـــلال هـــذين اليومين يعج بالضباط وقـــد لوحظت حـــوله حركة دائمـــة لســـيارات الارسال ، والمجنزرات ، والوحـــدات المختلفة . ونستعيد عبارة لضـــابط جاء فيها أن الرؤية من على أسطح تلك المبانى كانت ذاتها « من الصف الاول فى المسرح : المواقع الاسرائيلية الامامية ، أم مواقع المظليين كانت قريبة جـــدا من حـــدود المخيمات . وكانت دبابات « المركافا » تشرف على المكان . بالقرب من مفرق السفارة الكويتية كانت الكتيبة رقم ٥٠١ من الجيش اللبنانى موجـــودة أيضـــا .

اخـــذت المجزرة ، منذ البداية ، حجما هائلا على ما يقوله النـــاجون . خـــلال الساعات الاولى قتل المسلحون الكتائبيون مئات الاشخاص . وكانوا يطلقون النار على كل ما يتحرك فى الازقـــة . وقـــد حطموا ابواب المنازل وصفوا أسرا بأكملها كانت تتناول العشاء . وقـــد قتل بعض الاهـــالى فى أسرتهم ، فى لباس النوم . كما وجـــد فى العـــديد من المساكن أطفال فى الثالثة أو الرابعة من العمر كانوا أيضا فى لباس النوم ، تغطيهم بطانيات ملطخـــه بالدماء . غالبا ، لم يكن القتلة يكتفون بالقتل بل فى حالات عـــديدة كان المعتدون يبترون أعضاء ضحاياهم قبل القضاء عليهم . وكانوا يسحقون رؤوس الاطفال والرضع على الجـــدران . نساء وصبايا اغتصبن قبل أن يذبحن بالبلطات . أحيانا ، كان الرجال يجرون من بيوتهم ليعـــدموا جماعيا وعلى عجـــل فى الشارع بالبلطة والسكين نشر المسلحون الرعب وأخـــذوا يبيدون دون تمييز الرجال ، والنساء ، والاطفال ، والشيوخ . أحيانا كانوا يتركون عن قصد ، فردا واحـــدا من الاسرة ينجو بحياته حتى يستطيع المسكين بعـــد ذلك أن يروى ما رأى وعاش . كذلك لم يميزوا ابدا بين المسيحيين والمسلمين ، بين

اللبنانيين والفلسطنيين . كان على كل من أقام فى مخيم اللاجئين أن يلقى نفس المصير . روت شابة شيعية أن أهلها رموا بأنفسهم على أقــدام جــلاديهم وتوسلوا اليهم أن يتركوهم أحياء وأقسموا أنهم لبنانيون .

يجب أن نتذكر أنه قبــل نشوب الحر ب(٤ حزيران ـــ يونيو ١٩٨٢) ـــ والتى كان يعــد لهــا منذ زمن بعيــد ، اذ كان قد تم تحـديد ســاعة الصفر خمس مرات منذ أنشــغل آريل شارون منصب وزارة الدفاع خــلال صيف سنة١٩٨١ ـــ وعندما اتضح أن القــوات الكتائبية قــد تشترك فى معارك بيروت الغربية . اعترض ضباط اسرائيليون كبار على هــذا القرار . كانوا يشككون بفعالية وانضباط الكتائبيين ويشددون على خطر الاساءه لسمعة جيش الدفاع الاسرائيلى بسبب « التجاوزات » المحتملة فى حال ما اذا شارك رجال بشير الجميل بالعمليات داخــل بيروت الغربية . وقــد تكاثرت هــذه المخاوف بعــد أن بدأت الحرب .

لقــد تبين ان رجال القــوات اللبنانية هم مقاتلون ذوو مستوى ردئ واندفاعهم ليس كبيرا . وكانت المعركة الوحيدة التى شاركوا فيها هى التى تم فيها الاستيلاء على كلية العلوم فى الحــدث وكانوا قــد احتاجوا لدعم من الجيش الاسرائيلى كى يستطيعوا حسمها . وكانوا فى المقابل قــد أظهروا حماسا اشــد بكثير أمام خصومهم اللبنانيين بعــد مرور الجرافة الاسرائيلية . وقــد تعرضــوا بوجــه خاص للدروز وقتــلوا عشرات المدنيين من قرى الشوف ومنطقة عاليه . وعلى سبيل المثال ، عندما أدخلهم الجيش الاسرائيلى وفقــا لاوامر حكومته قرية ســوق الغرب ، قاموا بقتل ١٤ قرويا مجتمعين فى حفلة زفاف . وفى مكان آخر ، طلب الكتائبيون الاشتراك بهجوم على مرتفع واقع على محور بيروت ـــ دمشق حيث كان قــد تحصن بعض الفلسطينيين . وفى طريقهم اليه بدلوا هــدفهم واشتبكوا مجــددا مع الدروز ، أعــدائهم الالداء . وبعــد أن دارت معارك دامية اضطر الجيش الاسرائيلى الى التدخــل ليجنب الكتائب هزيمة صارخة ولاقى جندى اسرائيلى حتفه فى هــذا الحادث . ومنذ الايام الاولى للحرب كانت تصل الى القيادة الاسرائيلية شكاوى عن ممارسات قام بها الكتائبيون على الاراضى التى احتلها الجيش الاسرائيلى ، من أعمــال عنف ، وسرقات ، واغتصابات واستيلاء على الممتلكات ، اشارت الصحف الاسرائيلية الى بعضها .

وصف ايتان هابر (Eytan Haber) ، المراسل العسكرى لصحيفة **يديعــوت أحرنوت** وهى الجريدة التى يقرأها أغلبية النــاس فى اسرائيل ـــ وصف الكتائبيين على النحو التالى : « تعلم القيادات العليا فى

الجيش ، ومنذ زمن طـويل ان المقاتلين الكتائبيين » (اذا صحت تسميتهم « مقاتلين ») ليسوا الا لمـامة من الشبان ومن الاقـل شبابا ، مستواهم فى القتال سقيم ومشكوك فيه واخلاقياتهم ايضا موضع شك أكبر . وكان بعضهم ، من بين الذين اقاموا حـواجز فى بيروت ، قـد قبل الرشـوة من قبل المخربين (مقاتلين من م.ت.ف) وصرف النظر مقابل تلقى النقـود الرنانة وسمح بمرور المواد الغـذائية وممنـوعات أخرى خلال فترة الحصار على بيروت الغربية . هم فى النهاية رعاع منظمين ، يرتدون البزات ولديهم ادوات آلية ومعسـكرات للتدريب وقـد اقترفـوا عمليات وحشية وشنيعة » . تشترك فى هـذا الراى الاكثرية العظمى من المراسلين العسكريين الاسرائيليين الذين كانت امامهم كل الفرص للاتصـال بالكتائب : التى كانت تتلقى التدريب العسـكرى فى معسكرات جيش الدفاع الاسرائيلى فى اسرائيل ذاتها منذ عام ١٩٧٦ وهو تاريخ بداية تعاملها مـع اسرائيل .

لم يحـدث أبدا أن أخفى الكتائبيون نواياهم بذبح الفلسطينيين عـن الاسرائيليين . والشهادات فى هـذا المجـال كثيرة وفى الصحافة الاسرائيلية أيضـا . وأكثر هـذه الشهادات تأثيرا هى التى اوردها النائب روبتشتاين وهـو عضو فى التجمع الوسطى الصغير شنوى (Shinoui) اذ روى خـلال النقاش فى الكنيست الذى تبـع الاعلان عن مجازر صبرا وشاتيلا ، أنه التقى بمناسبة زيارة برلمـانيين اسرائيليين الى جنوب لبنان الذى تحتله اسرائيل ، بأعضاء من حزب الكتائب لم يترددوا عن الافصاح عن نيتهم بذبح الفسطينيين . كان أحـدهم قـد قال : « موت فلسطينى يلوث الجـو ، موتهم جميعا هـو العـلاج » . يمكننا أيضـا أن نقرأ فى المجلة الاسـبوعية بمحانية (Bamahaneh) ، وهى المجلة الرسمية للجيش الاسرائيلى الصادرة بتاريخ الاول من أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٢ ، (أى قبـل اسبوعين من وقـوع المجازر) : « لقـد سمع ضابط اسرائيلى كبير من فم ضابط كتائبى الجملة التالية : لو كان لدى الفلسطينيين قليل من الحكمة ، يجب ان يحاولوا مغـادرة بيروت . لا تتصور المذبحـة التى سيتعرض لهـا الفلسطينيون من مدنيين ومخربين الذين سيبقون فى المدينة . لن تنفع محاولاتهم للذوبان بين السكان . ان سيف المقاتلين المسيحيين وبندقيتهم سيطاردونهم فى كل مكان وسيبيدونهم مرة والى الابـد » .

لقـد سمع الضباط الاسرائيليون ذوو الصلة الدائمـة مـع القوات المسيحية ، مرات عديدة ومتكررة عبارات من النوع التالى : « سنقطع رؤوسهم جميعا » أو « نسيصل الدم الى ركبنا » . كان رد فعل ضابط اسرائيلى عندما علم بقرار شارون السماح للكتائبيين بدخـول المخيمات : « ان الذى يدخـل

الثعلب الى عش الدجاج لا يستغرب ان أكلها » . وقال ضابط اسرائيلى كان قد أقام لفترة طويلة فى هيئة أركان الجبهة الشمالية : « القوات اللبنانية شبيهة بجماعة ميلشيات سعد حداد . كلاهما يدعى البطولة فى وجه المدنيين المجردين من السلاح » . وذكر بأيام الغزو الاسرائيلى الاول لجنوب لبنان ، خلال « عملية الليطانى » ، فى آذار — مارس ١٩٧٨ ، حين كانت قوات سعد حداد تكتفى بلحاق الجيش الاسرائيلى وكانت تنهب وتقتل على طريقها ، لا سيما أن كل السكان فى قرية الخيام كانوا قد قتلوا بوحشية ، وحمل رجال سعد حداد على شاحناتهم كل ممتلكات الاهالى .

لا شىء يوضح ذهنية القيادة الاسرائيلية بصورة أفضل من الحدث الصغير الذى نقلته صحيفة دافار اليومية العمالية : بعد أن اتخذ شارون قراره بالموافقة على ان تقوم الكتائب « بتنظيف المخيمات » ، اقترح أحدهم أن يلحق بهم ضابط ارتباط اسرائيلى . ولكن كان هناك أحد الضباط الاسرائيليين الكبار موجودا ورفض هذا الاقتراح شارحا أنه من المتوقع منهم القيام بمخالفات وليس من المستحب أن يز جبالجيش الاسرائيلى فى هذه العملية . وكان نفس هذا الضابط يعلم أن العملية كان يقودها الياس حبيقة المعروف منذ زمن لدى الاسرائيليين ، وكان يعلم معنى ذلك .

تعود الاتصالات الاولى بحبيقة الى العام ١٩٧٦ حين أرسله بشير الجميل الى جنوب لبنان ، بناء على طلب من اسرائيل ،ليدعم مع بضع عشرات من رجاله تحركات سعد حداد فى الجيوب الحدودية . لم يكن يبلغ من العمر وقتها الا ٢٢ سنة . لكنه حسب الصحف الاسرائيلية ، كان قد أثبت بالفعل جدارته وكان قد قتل العديد من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين ، بحيث قرر الاسرائيليون بعد فترة التخلص منه وصرفه الى دياره خشية أن تلطخهم تحركاته « الشاذة » . لم تتوقف مع ذلك كل الاتصالات معه . وحسب ما ورد فى الصحف الامريكية لقد كان على صلة بالمخابرات المركزية الامريكية ، سى . اى . ايه . وبالموساد (المخابرات الاسرائيلية) ، وربما حضر محاضرات فى اسرائيل بصفته مسؤولا عن المخابرات فى المجلس الحربى للقوات اللبنانية .

لقد دخل حبيقة ورجاله هذه المرة الى المخيمات الفلسطينية بمباركة اسرائيل . وحسب مراسل للتلفزيون الاسرائيلى ، جمع حبيقة أكبر معاونيه فى مركز قيادته . وكان الموجودون هم ملازماه اميل عيد وميشيل زوين ، وقائد الشرطة العسكرية الكتائبية ، ديب أنستاز ، وقائد منطقة

بيروت الشرقية مارون مشعلانى ، ومسؤول الكوماندوس جوزيف أده ، واخيرا ضابط الارتباط الدائم مع القوات الاسرائيلية ، « جسى » ، الذى يردد منذ شهور لمن يريد أن يسمعه أنه ليس هناك حل آخر الا ذبح فلسطينيى مخيمات بيروت .

انطلقت وحدة تضم ١٥٠ عنصرا كتائبيا من مكان تجمعها بالقرب من المطار . عبرت حى الاوزاعى ، ومشت محاذيه جانب ثكنة هنرى شهاب حتى وصلت الى مركز قيادة القوات اللبنانية الواقع على مفرق السفارة الكويتية داخل مبنى للامم المتحدة . مقابلهم ، باتجاه الشمال ، نصب الاسرائيليون على مفترق الطرق ذاته ، موقعا للمراقبة والقيادة فى مبنى ضباط الجيش اللبنانى . وهو يقع على بعد ٢٠٠ متر من أحد الاماكن التى ستتم فيها مجازر مخيم شاتيلا . من سطح هذا المبنى المكون من سبعة أدوار يمكن الاشراف على كافة أنحاء المخيم تقريبا .

تلقى الجنود الاسرائيليون الواقفون على الحواجز التى أنشأوها أمام مدخل مخيم شاتيلا امرا بالسماح بمرور القوات الكتائبية عند الغروب . تدل شهادات سكان بئر حسن ، وهو مخيم يقع بالقرب من ثكنة هنرى شهاب على أن الفرق الكتائبية الاولى (٢٥ سيارة جيب) قد مرت أمامهم عند الساعة الرابعة ظهرا ، اتجهت نحو السفارة الكويتية . ذهب عدد من الاهالى المرعوبين الى مركز القيادة الاسرائيلى حيث قيل لهم أن يعودوا الى ديارهم والا يخافوا . لم يأخذ المدنيون بنصائح الضباط الاسرائيليين وفضلوا النوم فى مبنى مجاور لشاطىء البحر ، وفى اليوم التالى لجأوا الى ثكنة هنرى شهاب . حسب شهادات الباقين على قيد الحياة من مخيم شاتيلا ، ربما كانت عصابات عديدة أدخلت الى المخيم قبل الساعة السادسة مساء وقد تكون المجازر الاولى بدأت قبل هبوط الليل فى حى عرسال ، الواقع أمام مركز القيادة الاسرائيلية .

تتطابق شهادات عديدة بما يخص هوية القتلة . فهم باغلبيتهم العظمى أعضاء فى القوات اللبنانية وذلك يعنى أساسا عناصر المليشيات التابعة لحزب الكتائب ـ التجمع الذى أسسه بيار الجميل عام ١٩٣٦ ـ والذين انضمت اليهم فى شهر تموز ـ يوليو ١٩٨٠ مليشيات « النمور » من حزب الوطنيين

الاحرار التابع للرئيس السابق كميل شمعون وكذلك مجموعة من المقاتلين اليمينيين المتطرفين مسماة « بحراس الارز » التابعة لايتيان صقر . كانت العصابات المسلحة تجوب المخيم بسيارات الجيب التي جهزهم بها الجيش الاسرائيلي وكانوا يرتدون البزات ذات اللون الاخضر الغامق وعليها شعارهم الذي يمكن لاى لبناني أن يتعرف عليه . وكان بعضهم قد تزود بالسكاكين والبلطات . هذه الوحدات تابعة لجهاز المخابرات ، والشرطة العسكرية والكوماندوس الكتائبيين .

أكد الاهالي بعد ذلك باصرار شديد أن رجال الرائد حداد كانوا قد شاركوا أيضا في المذبحة . ويقولون انهم تعرفوا عليهم من شاراتهم وخاصة بسبب لهجتهم الجنوبية المميزة ومن أسمائهم . فبينما تقتصر القوات اللبنانية التي تصل الى ١٢٠٠٠ رجل على المسيحيين ، تضم قوات الرائد حداد (حوالي ٦٠٠٠) عددا لا بأس به من العناصر الشيعية . اكد لاجئون من شاتيلا انهم سمعوا جنودا بالبزات العسكرية ينادون على بعضهم البعض بالاسماء « على » و « عباس » وهي أسماء شيعية نموذجية . ولقد كذب سعد حداد بنفسه وبشكل قاطع اى اشتراك لقواته في المجازر . لكنه أضاف في حديث مع صحفيين اسرائيليين : « لقد انتقل بعض عناصر من جيشي الى قوات بشير الجميل ومن الممكن أن تكون هذه العناصر التي تحمل شعار « لبنان الحر » قد شاركت في المجازر . وعندما ووجه بتأكيد قائد اسرائيلي أن بعض العناصر من تنظيمه قد أوقفهم الجيش الاسرائيلي بعد المذبحة ، علل حداد أن الامر قد يكون متعلقا بثلاثة أو أربعة من رجاله الذين حاولوا انقاذ أهلهم المقيمين في المخيم بعد الاعلان عن المذبحة » وحدد أن أوامره كانت على اى حال عدم تجاوز نهر الاولي شمالي صيدا .

غير أن سكانا من قرية الشويفات الكبيرة الواقعة جنوبي المطار ، وسكانا من خلدة جنوبي بيروت ، أكدوا للصحافيين أن قوافل عسكرية من قوات « لبنان الحر » التابعة لسعد حداد ، كانت قد توجهت نحو المطار قادمة من الجنوب . وروى صحفي من التلفزيون الاسرائيلي انه التقى بميكانيكي الآلات المدرعة في المطار ، بينما كانت تدور المذبحة ، وهو عنصر من قوات حداد كان قد تلقى تدريبا في اسرائيل ويتكلم العبرية . لقد ثبت قطعا ومن مصدر مؤكد أن أحد عناصر حداد قد قتله الاسرائيليون ليلة الجمعة بينما كان يتجول بالقرب من المدينة الرياضية . لقد وجدت كلمات « سعد حداد » و «كتائب » ، مكتوبة على الجدران في أماكن عديدة من مخيمي صبرا

وصاتيلا . ومن المعلوم اخيرا أنه . فى الايام التالية للمجازر شوهــد فى بيروت الغربية مقاتلون من « لبنان الحر » كانوا يتحادثون مع جنود اسرائيليين . لكن لاشك أن مشاركتهم فى المجازر كانت محدودة ولم يتجاوز عددهم بضع عشرات بينما كان موجودا فى ذروة المذبحة أكثر من ٤٠٠ رجل فى مكان الحادث . أما فيما يخص سعد حـــداد نفسه فانه لم يصل الى بيروت الا يوم الجمعة صباحا فى التاسعة وقـــد نقلته طوافة اسرائيلية ، حسب قوله ، الى بكفيا كى يتقدم بالتعازى لاسرة بشير الجميل . ومما قاله أيضا أنه غادر العاصمة خلال فترة الظهـــيرة .

ان الروايات المتعلقة بساعة دخول المجموعة الاساسية من المعتدين الى المخيمات ، متطابقة الى حـــد كبير . وقــد أكد الجنود الاسرائيليون الذين كانوا موجودين فى ذلك الوقت أن الساعة كانت الخامسة والربع عصرا . وحسب قول عـــدد من سكان المخيمات ، فقـــد بدأت أول عمليات القتـــل المنظم فى الساعة الخامسة أو حتى قبلها بقليل فى بعض الاماكن من مخيم شاتيلا . أما آرييل شارون ، فقد قال فى أول تصريح له أمام الكنيست أن : « القوات قـــد دخلت خلال الليل » . الكل متفق بشأن القول ان دخولها قـــد تم على محورين : الاول من الجنوب على الطريق الرئيسى الذى يقود الى المخيمين ، والثانى جنوب غرب المخيمات حيث أتت من التلة المجاورة لسفارة الكويت وكان فى قيادة الحملة « الياس حبيقة » .

بدأت المذبحة فى الحال ، واستمرت أربعين ساعة ، دون انقطاع . استطاع الاسرائيليون مراقبة العملية من على أسطح (الدور السابع) مبانى الضباط اللبنانيين الثلاثة التى كانوا قـــد احتلوها منذ اليوم الثالث من أيلول — ســـبتمبر . وكانـــوا مزودين بآلات ، كالمنظـــار والمرصـــد تمـــكن من الرؤية ليلا . لم يكونوا يحتاجونها فى الواقع حيث كان المكان الذى تمت فيه أهم المجازر يبعد عنهم بمئتى متر . كان المبنى خلال هذين اليومين يعج بالضباط وقد لوحظت حوله حركة دائمة لسيارات الارسال ، والمجنزرات ، والوحدات المختلفة . ونستعيد عبارة لضابط جاء فيها أن الرؤية من على أسطح تلك المبانى كانت ذاتها « من الصف الاول فى المسرح ، المواقع الاسرائيلية الامامية ، أى مواقع المظليين كانت قريبة جدا من حدود المخيمات . وكانت دبابات « المركافا » تشرف على المكان . بالقرب من مفرق السفارة الكويتية كانت الكتيبة رقم ٥٠١ من الجيش اللبنانى موجودة أيضا .

أخذت المجزرة ، منذ البداية ، حجما هائلا على ما يقوله الناجـــون . خلال الساعات الاولى قتل المسلحون مئات الاشخاص . وكانوا يطلقـــون النار على كل ما يتحرك فى الازقة . وقد حطموا أبواب المنازل وصـــفوا اسر

بأكملها كانت تتناول العشاء . وقد قتل بعض الاهالى فى أسرتهم ، فى لباس النوم . كما وجد فى العديد من المساكن أطفال فى الثالثة أو الرابعة من العمر كانوا أيضا فى لباس النوم ، تغطيهم بطانيات ملطخة بالدماء . غالبا ، لم يكن القتلة يكتفون بالقتل بل فى حالات عديدة كان المعتدون يبترون أعضاء ضحاياهم قبل القضاء عليهم . وكانوا يسحقون رؤوس الاطفال والرضع على الجدران . نساء وصبايا اغتصبن قبل أن يذبحن بالبلطات . أحيانا ، كان الرجال يجرون من بيوتهم ليعدموا جماعيا وعلى عجل فى الشارع بالبلطة والسكين ، نشر المسلحون الرعب وأخذوا يبيدون دون تمييز الرجال ، والنساء ، والاطفال ، والشيوخ . أحيانا كانوا يتركون عن قصد ، فردا واحدا من الاسرة ينجو بحياته حتى يستطيع المسكين بعد ذلك أن يروى ما رأى وعاش . كذلك لم يميزوا أبدا بين المسيحيين والمسلمين أو بين اللبنانيين والفلسطينيين . كان على كل من أقام فى مخيم اللاجئين أن يلقى نفس المصير . روت شابة شيعية أن اهلها رموا بأنفسهم على أقدام جلاديهم وتوسلوا اليهم أن يتركوهم أحياء وأقسموا أنهم لبنانيون . كان جوابهم الوحيد : « عشتم مع الفلسطينيين القذرين وسيكون مصيركم مماثلا » . وكانوا بعد ذلك يقتلون كل أفراد الاسرة، تاركين على قيد الحياة هذا الشاهد .

تم العثور فيما بعد بين المفقودين على تسع نساء من اليهود كن قد تزوجن فلسطينيين ايام الانتداب البريطانى وكن قد لحقن بأزواجهن الى لبنان عندما تمت الهجرة عام ١٩٤٨ . وقد نشرت الصحف الاسرائيلية أسماء أربع منهن . وفى حى حرش ثابت ، فى شاتيلا ، قتلت منذ البداية كل أسرة آل مقداد . كانت هذه الاسرة تملك جراجا للسيارات فى شاتيلا منذ أكثر من ثلاثين عاما وأصلها من كسروان(*) . لقد أعدم أفرادها التسعة والثلاثون من رجال ونساء وأطفال دون استثناء ، بعضهم قطعت أعناقهم والآخرون بقرت بطونهم . كانت بينهم امرأة شابة ، فى التاسعة والعشرين من عمرها ، اسمها زينب ، وكانت فى الشهر الثامن من حملها . لقد شقوا بطنها ووضعوا الجنين على ذراعى أمه الميتة . وقد قتل أولادها السبعة الآخرون . كما قتلت احدى قريباتها ، وفا محمود مع أولادها الاربعة وكانت فى الشهر السابع من حملها وتبلغ من العمر ٢٦ عاما . وفى الحى ذاته ، اغتصبت عدة نساء قبل أن تقتل وكانت بعد ذلك تخلع عنهن الثياب ويتم ترتيب أجسادهن على شكل صليب . احدى الفتيات المغتصبات تبلغ من العمر سبعة أعوام وهى من آل مقداد . لقد روى ميلاد فاروق ، البالغ

(*) منطقة فى جبل لبنان تعتبر من معاقل المسيحيين الموارنة وكانت منذ قرون يسكنهامسلمون من الشيعة (المترجم) .

من العمر ١١ عاما والذى أصيب فى ذراعه ورجله . روى بعد أن تم نقله الى مستشفى غزة أن أمه وأخيه الاصغر قد قتلا بينما كانا يشاهدان التلفزيون . لقد دخل المسلحون الى بيتهم وأطلقوا على الجميع النار عن كثب ، دون التفوه بأية كلمة وكذلك خرجوا دون ان ينطقوا .

كان بعضهم يقظا بحيث أنهم فكروا بالفرار بأسرع وقت عند سماعهم أول قعقعة للسلاح والرشقات الاولى وصيحات الضحايا . هكذا فعلت السيدة هاشم وكانت قد سمعت أصواتا مخيفة من ناحية الجنوب . خرجت حينئذ مع زوجها وأطفالها من كوخهم فى مخيم شاتيلا وركضت لتلتجىء باتجاه الشمال . لم تكن تعلم بعد أنها كانت بصدد مذبحة منظمة ولذلك طلبت من زوجها ، بعد عثورهم على مأوى ، أن يعود الى الدار ليحضر بعض الطعام من الثلاجة ولا سيما الحليب للاطفال . لم تره بعد ذلك حيا أبدا . لقد عثر على جثمانه يوم السبت وهو مخترق بالرصاص ، فى بيته .

لم يكتف المسلحون بعمليات التعذيب والقتل . فكانوا يسرقون ايضا . لقد عثر على أيد نسائية بترت عند المعصم كى يمكن سرقة المجوهرات . لقد نقل صحفى اسرائيلى شهادة احد سكان شاتيلا : « دخل الكتائبيون الى منزل اخى ليلة الخميس . وفرضوا عليه أن يعطيهم كل ما كان يملكه من مال . فأحضر لهم ٤٠ الف ليرة لبنانية وكيلو جرامين من الذهب لكن لم يكفهم ذلك والزموه بتوقيع شيك بقيمة ٥٠٠ الف ليرة ، وامتثل أخى . قالوا له بعد أن وقع : أنت شايف ، أنت الآن لم تعد تساوى شيئا . ثم اردوه قتيلا ، هو وأباه وأخوين آخرين . لم ينج الا زوجته وابنتاه اللواتى استطعن الهرب من المنزل » .

وهذا ما روته ، بحضور ضابط لبنانى ، فلسطينية شابة ، سنها ١٣ عاما ، وهى الوحيدة فى أسرتها التى بقيت على قيد الحياة (وقد قتل أبوها ، وأمها ، وجدها وكل أخوتها واخواتها : « لقد مكثنا فى ملجأ حتى ساعة متقدمة جدا من ليل الخميس . ثم قررت أن اغادره مع صديقتى اذ لم يعد التنفس ممكنا . رأينا فجأة رجال الكتائب وهم قادمون . عدنا ركضا الى الملجأ وأبلغنا الآخرين . خرج بعضهم رافعى المناديل البيضاء وتقدموا نحو المسلحين صارخين : « نحن مع السلم » . قتلوا فورا . كانت النساء يولولن ويتوسلن وركضت أنا لاختبىء فى مغطس منزلنا . لقد قضى على الباقين جميعهم . ثم رأيتهم يأخذون الناس من جوارنا ويرمونهم بالرصاص . أردت أن انظر من النافذة لكن شاهدنى أحد المسلحين وأطلق النار على . فعدت الى المغطس وفضلت فيه

٥ ساعات . عندما خرجت قبضوا على ودفعونى مع الآخرين وسألوا ان كنت فلسطينية ، فقلت نعم ، فقالوا : « انت اذن تريدين أن تغزى لبنان » ؟ قلت : « لا . نحن مستعدون للذهاب من هنا » . كان جنبى ابن اختى ، رضيع فى الشهر التاسع من عمره وكان لا يتوقف عن الصياح حتى آثار غضب أحد الجنود الذى قال بعد حين : (كللت من هذا الصياح) ثم أطلق النار عليه وأصابه فى كتفه . أخذت ابكى وقلت له أن هذا الولد الوحيد الذى تبقى من أسرتى . لكن غضب الجندى ازداد وأخذ الطفل وقطعه قطعتين . حضر عمى فيصل ، فى هذه اللحظة وهو رجل بسيط العقل . ارادوا أن يقتلوه هو الآخر لكنى ترجيتهم كى يبقوه على قيد الحياة . قضينا كل الليل فى الخارج تحت القنابل المضيئة التى كانت تطلق فوق المخيم . فى الصباح الباكر أخذوا عمى ليساعدهم بنقل الجثث . عندما تعرف على جسد أمه انهار باكيا . ثم اقتادونا الى الملعب واهرونا بالبقاء هنا . انا هربت مع صديقة . اليوم اعيش عند عمتى . لم يعد لدى شىء أعمله فى شاتيلا . لم اعد أستطيع تكملة دروسى . لن أستطيع أن أعمل لانهم لن يوفروا لى بطاقة العمل . حيث تذهب عمتى سأذهب معها . لا اعلم ماذا سأفعل ولا أعلم ما سيكون مصيرى » .

الخميس مساء ، أخذ أهالى شاتيلا مبادرتين منفصلتين لمحاولة وقف المجزرة . فتوجه وفد مكون من أربعة رجال نحو المركز الاسرائيلى الواقع بجانب السفارة الكويتية ، ليشرح أنه ليس فى المخيم أسلحة ولا مقاتلين وان سكان المخيم يستسلمون . والرجال الاربعة هم : أبو حمد اسماعيل (٥٥ عاما) ، أبو أحمد سعيد (٦٥ عاما) ، أبو سويد (٦٢ عاما) وتوفيق أبو حشمة (٦٤ عاما) . شوهدوا وهم يتقدمون نحو مخرج المخيم الجنوبى ، ثم اختفوا . بعد يومين ، عثر على جثث ثلاثة منهم على مقربة من السفارة الكويتية . المحاولة الثانية قام بها رجل يدعى سيد وهو يعمل فى محطة البنزين المجاورة لمستشفى عكا حيث كان قد لجأ العديد من الناس . لقد نظم مجموعة من حوالى ٥٠ شخصا أغلبهم من النساء ، اتجهت حاملة فى مقدمتها العلم الابيض نحو المركز الاسرائيلى الواقع عند السفارة الكويتية لتطلب وقفا لاطلاق النار . وقد أوقفهم مسلحون مباشرة قبل وصولهم الحاجز الاسرائيلى . اقتادوا سيد وابنه حسن الى مكان مجهول . وقد اغتصبوا وقتلوا فى المكان ذاته عددا من النساء . لم يظهر الناجون الذين استطاعوا الهرب والعثور على مخبأ الا فى اليوم التالى فى مستشفى عكا حيث أبلغوا المدنيين اللاجئين فى المستشفى ، وهرب هؤلاء حينئذ نحو الاحياء اللبنانية المجاورة ، الشياح والغبيرى .

بسرعة لاحظ الجنـود الاسرائيليون المتمركزون حـول المخيم أنه كانت تجرى فيه أمور غير عادية . طبعا كان قـد بلغهم أن العملية هى « عمليـة تنظيف المخربين » وفى اللغة الشائعة فى اسرائيل فان مخيمات اللاجئين تسمى « بمخيمات المخربين » والنظام الاسرائيلى يصف طبعا الفـدائيين الفلسطينيين كأنهم كائنات أدنى من مستوى الانسان وانهم نازيون ، أو استعارة للتعبير الذى استخدمه مناحم بيجن فى الكنيست يوم ٨ حزيران – يونيو ١٩٨٢ ، انهم « حيوانات ذات قـدمين » لكن ، ورغم هـذه الحملة المنظمة لمحـو ملامح الخصم الانسانية والتى كان للصحافة الاسرائيلية فيها دور غير قليل ، بدا عـدد من الجنود الاسرائيليين تنتابهم حالة من الضيق الشديد عندما أدركوا أن ما يحصل داخـل المخيمات هـو شىء غير القتال . لقـد روى مظليـون لمراسلى صحيفة هآرتس ميخائيل جارتى وأوزى كيرين اللذين وصـلا الى شـاتيلا فى الايام التالية للمذبحة : « كان يمكن ايقاف المذبحة منذ يوم الخميس مساء لو أخـذ بعين الاعتبار ما قلنـاه لضباطنا » . وذهب جندى عـادى ليصرح الى الصحافيين بمبادرته الشخصية : « راينا منـذ يوم الخميس عنـد حلول الليل نساء فلسطينيات من مخيم شـاتيلا قادمات الى مركزنا . وقلن لنـا بأصوات هستيرية أن الكتائب تجـوب الشوارع وتقتل الاطفال وتجبر الرجال على التكوم فى شاحناتهم . لقـد قـدمت تقريرا الى ضباطى لكنهم اجابونى : كل شىء على ما يرام . لا تخف » . وأمرت بأن أطالب النساء بالعوده الى ديارهن . لكنى تمكنت من رؤية كثيرات منهن وحتى أسر بكاملها كانت بالعكس ، تهرب باتجاه أكثر شمالا . كنت دون انقطاع أعـود وأبلغ تقريرى وكان الجـواب هـو ذاته فى كل مرة : « كل شىء على ما يرام » . لقـد أقر ضابط من الفرقة ذاتها أمام نفس الصحافيين أنه كان قـد تسلم عـدة تقارير من هـذا النوع لكنه أضاف : « كنا جميعا مقتنعين بأن هؤلاء النساء كن فى حالة هستيرية » .

تؤكد شهادات أخرى للجنود الاسرائيليين أنه منذ الخميس مساء ، ثم ليلا ، كانت هناك مساع لبعض الاهالى قـدموا للابلاغ عمـا يدور فى المخيمات من مجازر . وقـد خرج فلسطينى يقطن بالقرب من مستشفى غزة ، خرج من مخيم صبرا فى أول الليل وذهب الى أول موقع اسرائيلى وجـده غربا وتحـدث الى ضابط يتكلم العربية ويدعى رامى : « لقـد شرحت له انى

التقيت بامرأة مصابة فى ذراعهـا قالت لى أن رجال سـعد حـداد يقتلـون الجميع . سألنى الضابط ان كنا مسلحين وأجبته ان بعضهم يملك السـلاح لكنه سلاح لا يستخـدم الا للدفاع الفردى فطلب منى أن أعلن لجميع السكان أن عليهم تجميع هـذا السلاح وتسليمه قبل الساعة الخامسة . أما المجزرة فكانت لا تهمه أخبارها » . قال بعض شباب المخيم الذين أجريت معهم مقابلات أنهم كانوا قـد سلموا أسلحتهم الى الاحزاب اليسارية اللبنانية بعـد رحيل الفـدائيين وذهبوا للمطالبة به عنـد غزو بيروت الغربية فووجهوا بالرفض بحجة أن الاوامر لم تصـدر من القيادات .

روى ممرض تابع لوحـدة طبية اسرائيلية أن بعض الجرحى كانوا قـد وصلوا الى مركزه وكان بينهم طفـل رضيع سـنه ٩ شـهور رفى ظهره رصاصة . وقـد مات هـذا الطفل بعـد ساعات . وأكد الممرض أنه علم بأن الشخص الذى أحضره كان الناجى الوحيد من بين أسرته . وشاهد بعـد ذلك أحـد الكتائبيين الطفل ميتا وصرخ « أتريدون التخلص من هذه الصرة . سأرميها فى الزبالة » . فهم الممرض حينئذ أن مذبحة حقيقة كانت تدور وأكد أنه قام بانذار مسؤوليه .

خـلال الليل ، تقـدم أحـد المسلحين من أقرب حاجز اسرائيلى وطلب حمالة . لقـد ثبت بالفعل أن الكتائبيين واجهوا فى أحـد الاماكن مقـاومة مسلحة وان اثنين من رجالهم قـد قتلوا كما جرح عـدد منهم . ولمـا سأل الجندى الاسرائيلى عن ما يدور فى المخيم ، رد المسلح « لقـد قتلنا ٢٥٠ مخرب حتى الآن » . وعندما روى هـذه الحادثة الى الصحافيين بعد حين ، قال الجندى أن الاسرائيليين تبادلوا الابتسامات فيما بينهم وكان لاحـدهم هـذه الملاحظة : « هـؤلاء المبالغـون .. كيف يمكن أن يكونوا قـد قتلوا ٢٥٠ مخربا بينما لم نسمع دوى المعارك » ؟ وقال : « بعـد أن ابتعـد ، توقفنا عن الابتسام وبدأنا نفهم انه فى الواقع كانت تدور مجزرة » .

الخميس مساء ، بدأت الاخبار المتعلقة بالمجزرة تصـل الى مركز القيادة الاسرائيلى وكان مصدرها المواقع العسكرية المجاورة لمخيم شاتيلا . مضمونها ان هناك قتلى فى المخيمات « بين المخربين والمدنيين » ، دون أية تفاصـيل أخرى . عند الساعة ١١ ليلا أرسـل قائد القـوات الكتائبية التى دخلت الى شـاتيلا التقرير التالى نصه الى الجنرال الاسرائيلى ، قائد مدينـة بيروت : « قتل حتى الآن ٣٠٠ مدنى ومخرب » . هـذا التقرير أبلغ فـورا الى هيئة الاركان ، وتناقلته أكثر من عشرين ضابطا كبيرا فى تل أبيب . عادة

يرفــع هــذا النمط من التقارير الى مكتب وزير الدفاع والذى كشف عن وجــوده هــو مراسل الجيروزالم بوست (Jerusalem Post) العسكرى هيرش جــودمان (Hirsch Goodman) واكــــد أنــه تحقق من صحته . ومــع ذلك ، استمرت المجزرة حتى صباح يوم السبت .

لقــد انقطع التيار الكهربائى طــوال الليل عن بيروت الغربية . ولمــا حلت الظلمة الكاملة كان الاسرائيليون يطلقــون القنابل المضيئة من كافــة الانحــاء فوق المخيمات . يقــول جندى أن وحــدته كانت تطلق القذائف المضيئة من عيار ٨١ م.م. بمعــدل ٢ فى الدقيقة خــلال ساعات عــديدة . استعمل الاسرائيليون طيرانهم ايضا الذي كان يرمى هــو الآخر بالصــواريخ لاضاءة المخيمات . وروت ممرضة هــولندية فى الثلاثين من عمرها ، اسمها تينك الوف (Tineke Uulf) انها لم تذكر أن المخيمات كانت قــد انيرت بهــذه القوة خلال حصار بيروت ، وكانت هي قــد عاشت هــذا الحصار . وقــد لاحظ مراسلو الصحف انارة المخيمات المستمرة خلال الليل وطلبوا التوضيحات من الناطق العسكرى الاسرائيلى فى بيروت الغربية . ولكن هــذا الاخير لزم الصمت .

بدأ الجرحى يتدفقــون على مستشفيات غزة وعكا وينقلون الوقائع التى كانت تتسابق فى درجــة الفظاعة . لقــد أسعفت تلك الليلة فى مستشفى غزة ٨٢ شخصا قــدم أغلبهم من مخيم شــاتيلا المسرح الاساسى للمذبحة . كثيرون جرحــوا بالرصاص لكن بعضهم كان قــد أصيب بشظايا القــذائف التى أطلقها الاسرائيليون خلال فترة بعــد الظهر . الاسر هى التى نقلت بنفسها الجرحى معتمدة على امكانياتها الذاتية . لم تعــد اية سيارة اسعاف تجرؤ على التجــول فى الشوارع . كانت حشود من الناس تضم أساسا النساء والاطفال تتجمع فى وقت واحــد داخــل المستشفيات وبجــوارها ظنا منها بأن المكان أكثر أمنا . حسب التقــديرات ، لجــأ الى المستشفيات خلال ليل الخميس ـــ الجمعة من ألف الى ألفى شخص فى حالة هلع لا توصف .

فى أول الليل تحــدث شــارون مع المبعوث الامريكى موريس درايبر الذى جاء يطالبه باسم حكومته بالجلاء عن بيروت . رفض شــارون ، وظــل يؤكد أن على اسرائيل أن تبقى فى مكانها « كى تنقذ الوضع فى بيروت الغربية » . كان رد درايبر أنه يمكن للجيش اللبنانى ان يقوم بنفس المهمة تماما , بدأ منذ ذلك الحين أن الامريكيين قــد تبنــوا لهجة أشــد تجاه اسرائيل .

فى القدس ، اجتمعت الحكومة فى السابعة والنصف مساء فى جلسة استثنائية دامت أربع ساعات . استمع الوزراء لاول مرة بعد ٣٨ ساعة من ابتداء العملية ، الى تقرير حول دخول الجيش الاسرائيلى المدينة ، وعبر عدد منهم عن شكوكه حول جدوى العملية وضجوا بالاستياء من الطريقة التى أخذ بها القرار دون مشاورة مسبقة للحكومة . اخيرا ، اتخذ قرار يؤكد أن العملية لها مبرراتها وقال البيان : « بعد مقتل بشير الجميل ، أخذ الجيش الاسرائيلى مواقعه فى بيروت الغربية تجنبا لخطر اندلاع عمليات العنف ، وسفك الدماء والفوضى » . فى هذا الوقت لم يكن أحد من الوزراء أو حتى رئيس الحكومة يعلم أن العنف واراقة الدماء والفوضى تسود فى بيروت الغربية . قدم رئيس هيئة الاركان رفاييل ايتان وجنرالات آخرون ساهموا فى الاجتماع التقريرات عن الوضع على الارض فى بيروت الغربية . لقد ذكر ايتان « الاشتباكات المحدودة » مع بعض الميليشيات الاسلامية ، المرابطون وما تبقى من م. ت. ف. وكذلك ذكر الاتصالات التى أجريت مع الجيش اللبنانى . ثم أشار عرضا وبصورة مقتضبة الى أن قوات كتائبية قد دخلت الى مخيمات اللاجئين « لتنظيف جيوب المخربين » . أضاف أن الاتصال بالكتائب دائم وأن التنسيق كامل بين عملياتهم وعمليات جيش الدفاع الاسرائيلى . قال الوزراء بعد ذلك أنهم فى حينه كانوا مقتنعين بأن الامور تسير كلها بنظام وأن اشتراك القوات المسيحية بالمهام التى حددها الجيش الاسرائيلى مسيطر عليه تماما . لم يتبع تقرير الجنرال ايتان أى سؤال ولا أى نقاش . مع أن هذا الاخير ، كان قد ذكر الرغبة المتفاقمة بالثأر عند المسيحين كى يبرر عملية بيروت الغربية . اكد الذين أطلعوا على التقرير حول الاجتماع الحكومى أن دور الكتائبيين عرض ببساطة خادعه . وقد يكون وزير الاسكان ، دافيد ليفى وحده هو الذى أشار الى خطر أن يقوم الكتائبيون بذبح الفلسطينيين .

من الساعات الاربع التى استغرقها الاجتماع — بينما كانت المجزرة قد بدأت — شغلت قضية دخول القوات اللبنانية الى المخيمات أقل من خمس دقائق . أهم ما دار فى البحث كان غرضه المطالبة الاميركية بانسحاب اسرائيلى من بيروت . قررت الحكومة أنها « ستعطى أمرا بالانسحاب من المواقع عندما يصبح الجيش اللبنانى قادرا على السيطرة عليها بالتنسيق مع جيش الدفاع الاسرائيلى ، وكذلك قادرا على حفظ الامن والسلامة العامة » . كان واضحا للجميع ما يعنيه هذا البيان : ان فى نية الجيش الاسرائيلى البقاء فترة طويلة فى بيروت الغربية اذا ما قسناها ببطء الجيش اللبنانى . واصبح لدى الجيش كل اسباب الارتياح : لقد وافقت الحكومة على امهاله الوقت الموافق لرغبته كى يحقق أهدافه فى بيروت .

فى نشرة منتصف الليل ، أى بعــد ساعة من نهاية الاجتماع الحكومى ، أعلن المراســل العســكرى من بيروت فى اذاعة الجيش جالى تســاهال (Galei Tsahal) ، أن « الجيش قــد قــرر تسليم مهــام تنظيف صبرا وشــاتيلا الى الكتائب » . أعيدت قراءة هــذا النبأ فى نشرات الجمعــة عند الساعة الواحــدة والثانية وانقطع بعــدها .

خــلال النقــاش الذى دار فى الكنيست يوم ٢٢ أيلول — سبتمبر لجــأ شارون الى الحجة التى يتوتر لهــا الاسرائيليون جــدا . « لم نرسل قــوات جيش الدفاع الاسرائيلى داخــل المخيمات كى نتجنب الخسائر فى الارواح البشرية (أرواح الجنود الاسرائيليين) . لم نرسل جنودنا لان غيرهم كان قادرا على تحقيق هــذه العملية ... » .

فى مخيمات اللاجئين ، تواطت المذبحة طــوال الليل .

الجمعة ١٧ أيلول ــ سبتمبر

يوم الجمعة الاسود :

فى الصباح الباكر كان الضباط والجنود الاسرائيليون فى مواقع المراقبة يتتبعون بمناظيرهم ما يجرى فى مخيم شاتيلا . شاهدوا أكوام الجثث ، والرجال الذين كان يتم رميهم بالرصاص على وجه السرعة . لقد روى جنود تابعون لوحدة مدرعات ــ الوحدة التى كان يقودها العقيد ايلى جيفا قبل استقالته ــ والتى كانت متمركزة على بعد ١٠٠ متر من المخيم رووا انهم استطاعوا ان يشاهدوا بكثير من الوضوح تصفية المدنيين على يد رجال الميليشيات فى صباح يوم الجمعة هذا . لقد وصلت تقاريرهم الى السلطات العليا التى اطلعت أيضا على تقارير اخرى مماثلة ارسلها جنود وضباط متمركزون بمواقع مختلفة بالقرب من المخيمات . واكد جنود اسرائيليون أيضا انهم سمعوا صراخ اللاجئين الذين قتلوا بينما كانوا يحاولون النجاة بأرواحهم . اخيرا كانت المعلومات تصل الى الاسرائيليين من رجال الكتائب أنفسهم الذين كانوا يخرجون من المخيم من وقت الى آخر للتزود بالطعام والماء فى المعسكرات والحواجز التى اقامها الجيش الاسرائيلى بجوار شاتيلا . كانوا يسردون على الجنود سير « المعارك » ولم يخفوا أن « هناك مدنيين أيضا بين القتلى » .

لقد قال الملازم أول آفى جرابفسكى (Avi Grabowski) أمام لجنة التحقيق ، وكان القائد المساعد لسرية من الدبابات : « لقد رأيت كاتئبيين يقتلون مدنيين .. قال لى أحدهم : النساء الحوامل ستنجب لمخربين » . لقد أبلغ قياداته بذلك .

تلقى الجنود الاسرائيليون أمرا بعدم التدخل فيما يجرى فى المخيمات أو الدخول اليها . لقد سمع رقيب من فرقة المظليين ضابطه يعلن فى جهاز الارسال عند الساعة الحادية عشرة صباحا : « قد لا يعجبنا هذا ، لكنى أمنعكم جميعا من التدخل فيما يدور فى المخيمات » .

غير ان رائدا من المظليين ملقب بيـــايا Yaya قـــرر أن يذهب ليرى ما كان يحـــدث بالفعل هناك وليتحقق ممـــا قاله له بعض اللاجئين الذين استطاعوا الهرب ووصلوا الى قلب بيروت الغربية . دخـــل حوالى الساعة التاسعه صباحا الى مخيم صبرا مـــع عـــدد من رجاله . مر من المدينـــة الرياضية واقترب من مستشفى غزة ولم يسجل شيئا خاصا ، فعـــاد . هـــذا المكان بالذات ، أصبح فى اليوم التالى ، السبت ، مسرحا لمجزرة جـــديدة . لقـــد التقى اللاجئون الهاربون شمالا بطريقهم بقائد للمظليين وقـــد قرر هـــو أيضا أن يقترب من صبرا ولم يلاحظ شيئا . وكان السبب انه فى هـــذا الوقت خانت المجزرة تدور فى شـــاتيلا . الجنود الذين كانوا يحاصرون هـــذا المخيم كانوا يسمعون دون انقطاع رشقات من الاســـلحة الاوتوماتيكية لا تشبه أبدا أصـــوات القتال وكانوا يسمعون أيضا صيحات الجرحى . بعد حين وعند هبوط الليل أطلقت الوحـــدات الاسرائيلية مجـــددا الصواريخ لتضيء على أفضل شكل داخـــل المخيمات ولتسهل مهمـــــة المهاجمـــين .

اقفلت مداخـــل المخيمات وأمر الجنـــود الاسرائيليون عـــدة مرات اللاجئين الذين كانوا يحاولون الخروج بأن يرتدوا على أدبارهم . المثل الابرز يتعلق بمجموعة تضم ٥٠٠ شخص كانت قـــد لجـــأت داخـــل مستشفى غزة فى صبرا ثم هربوا عندما علموا بأن رجـــال المليشيا يدخـــلون المستشفيات ويقتلون ويجرحون ويغتصبون . وصـــل المساكين ، وكانت تتقـــدمهم الاعلام البيضاء ، الى كورنيش المزرعـــة وهـــو الطريق الذى يشق العاصمة من الشرق الى الغرب . أوقفهم حينئذ جنود اسرائيليون . شرح مفـــوضهم أن جماعة ســـعد حـــداد تقتـــل الجميع . ومـــع ذلك أمروا بالعـــودة الى المخيم . أمام ترددهم ، صـــوبت دبابة اسرائيلية مدفعها عليهم وأجبرتهم على العـــودة على أعقـــابهم .

صباح يوم الجمعة هـــذا ، دخلت قـــوات مسيحية جـــديدة الى شاتيلا من المنافـــذ الجنوبية والغربية وكانت مزودة بسيارات الجيب والشاحنات والجرافات . فى بيروت ، بدأت الاشاعات تنتشر عن حصول مجزرة فى صبرا وشـــاتيلا بعـــد اخلاء مستشفى عكا من الاطباء والمرضين الاجانب الذين اقتـــادهم رجال مسلحون يدعـــون أنهم من الكتائب الى أبواب مخيم شـــاتيلا حيث وجـــدوا القائم بالاعمال النرويجى الذى أخـــذهم الى مركز الصليب الاحمر الدولى فى الحمرا ، ونبهوا الصحافة والديبلوماسيين الى أن شـــيئا خطيرا يحصل فى المخيمات . منذ اليوم التالى على أى حـــال ، أصـــدرت الصحافة المحلية هـــذه الانباء الاولية . كتبت جريدة **السفير** ، فى العمـــود

الاخير من صفحتها السادسة ، مستندة الى تقارير قوى الامن اللبنانية ، ما يلى : « دخل رجال تابعون لليشيات سعد حداد الى مخيمى صبرا وشاتيلا وهاجموا فلسطينيين » . وفى صفحة داخلية من جريدة **النهار** كان يمكن قراءة مايلى : « توقفت وحدة من القوات اللبنانية بالقرب من مستشفى عكا ، وجمعت الاهالى ، ثم فرزت الرجال والنساء واطلقت النار على الرجال . قتل ٥ اشخاص وجرح العديد » .

تلقى موشى هبرونى (Moshe Hebroni) وهو عضو فى مكتب قيادة الاستخبارات عند الساعة الخامسة والنصف التقرير المتعلق بقتلى المخيمات البالغ عددهم ٣٠٠ وارسله فى السابعة والنصف الى أحد أمناء سر وزارة الدفاع ، آفى دوداى (Avi Doudai)

كان الصحافيون ، هم أيضا ، قد تلقوا أخبارا مقلقة عن صبرا وشاتيلا . لقد اتصل زئيف شيف (Zeev Schiff) ، مراسل **هآرتس** العسكرى بعدد من الشخصيات ، بينها وزير المواصلات مورديخاى زيبورى Mordekhai Zippori وعرض عليهم ماكان قد وصله من معلومات . اتصل زيبورى بوزير الخارجية ، اسحاق شامير وأحاطه علما بالانباء التى وصلته والتى تتحدث عن « وقوع مجزرة فى مخيمات اللاجئين فى بيروت الغربية » . وأضاف زيبورى ، الذى كانت علاقاته مع آرييل شارون قد تدهورت سابقا : « يقتضى الامر أن تعرضوا الموضوع على وزير الدفاع لتتحققوا مما يحصل » . طلب شامير حينئذ من موظفى وزارته أن يقوموا بالتدقيق فى هذه المعلومات ، لكن لم يحصل هؤلاء على أى تأكيد لمعلومات زيبورى .

قال وزير الدفاع آرييل شارون فى تصريحه أمام الكنيست يوم ٢٢ أيلول — سبتمبر : « أول ما انتابتنا الشكوك عن ما يحصل فى هذه المخيمات ، اتخذ القائد العام للجبهة الشمالية (الجنرال درورى) فورا اجراءات لوضع حد لعملية الكتائب فى شاتيلا ، من خلال ضابط ارتباط الكتائب الذى كان يوجد فى مركز أحد ألويتنا . (...) لقد أوقف جيش الدفاع الاسرائيلى نشاط الكتائب منذ ظهر يوم الجمعة ، وصرفناهم نهائيا من المكان يوم السبت قرب الظهر » . وفى الواقع لقد تواصلت المجزرة طول النهار وطول الليل حتى صباح يوم السبت . حتى أن قوات كتائبية جديدة قد دخلت الى المخيمات بأعداد كبيرة خلال تلك الفترة .

وبالفعل لم تتوقف المذابح الا يوم السبت عند الساعة العاشرة . وقد كتب المراسل العسكرى لجريدة يديعوت آحرونوت ، ايتان هابر : « لقد تواصلت المجزرة ربما لان أحدهم كان يهمه أن تتواصل » .

فى هـذه الاثناء ، فى بيروت . اتصل الجنرال آموس يارون Amos Yaron قائد القـوات الاسرائيلية فى المنطقة ، اتصل من مركز قيادته المشرف على المخيمات بالجنرال أمير دروري . كان هـذا الاخير فى مركز قيادته عنـد الميناء . وابلغـه يارون بأن الاشـاعات المتعلقة « بمخالفـات » الكتائب فى المخيمات ، تزداد الحاحا . فى الساعة الحادية عشرة انتقل دروري الى مركز قيادة يارون . وطلب الجنرالان من ضابط الارتباط الكتائبي : « جسى » أن يزودهما بتفاصيل ما يحـدث فى المخيمات : فأجابهم : « لقـد فقـد بعض قياديينا السيطرة على رجالهم » .

عندئذ طالب قائد الجبهة الشمالية بأن تتوقف الكتائب فـورا عن اطلاق النار . لكنه لم يعطهم أمرا بالخروج من المخيمات ولم يعط لنفسه الوقت للتحقق مما اذا كان اطلاق النار قـد توقف فعلا . زيادة على ذلك فهو لم يرسل جنودا اسرائيليين الى داخـل المخيم لتقـدير ما يحصل بها .

قبل الظهر بقليل ، اتصل الجنرال دروري برفاييل ايتان فى تل أبيب ، ابلغـه بأن شيئا « مشبوها » يحصل فى المخيمات وانه امر بايقافـه . أدرك « رفـول » بأن القضية خطيرة وأجابه بأنه سيذهب الى بيروت فـورا . هبط قائد الاركان فى مطار بيروت عند الساعة الثالثة والنصف ظهرا وهناك جمع ضباطه الذين أبلغـوه تقـاريرهم . عند الساعة الرابعة والنصف ظهرا كان بصحبة الجنرال دروري والتقى فى هيئة أركان الكتائب الواقعـة فى حى الكرنتينا بالقرب من الميناء ، بعـدد من الضباط الكتائبيين وكان بعضهم عائدا من المخيمات . كان فادى افرام ، « القائد العام للقـوات اللبنانية » هـو ايضا يشارك فى الاجتماع . حسب أقـوال الجنرال يارون (هـذا ما قاله أمام لجنة التحقيق) فان الجنرال ايتان قـد هنأ الكتائب على عمليتهم . شرح الكتائبيون أنهم « ينظفون المكان » وأعلنوا أن الامريكين قـد طلبـوا منهم « وقف العمليات داخـل المخيمات » ورجـوا الاسرائيليين أن يمنحوهم « مزيدا من الوقت لتنظيف المكان » . وقـد اتفق الفريقان ، كما أعلن شارون فى تصريحه المشهور أمام الكنيست ، على أن « تكون جميع العناصر الكتائبية قـد أخلت مخيمات اللاجئين يوم السبت صباحا ، ١٨ أيلول ـــ سبتمبر » وكذلك اتفقا على « الا تدخـل أية قـوة اضافية الى المخيمات . وهكذا ، كان لـدى الكتائب ساعات طـويلة لمواصلة « التنظيف » وقـد أدخلوا مجـددا أعـدادا اضافية من الرجال الى صبرا وشـاتيلا .

لقـد تواصلت عمليات القتل على أيدى الوحـدة التى كان يقـودها الياس حبيقة ، ورجال سـعد حـداد ، والقـوات الجـديدة . وقـد روى من استطاع الفرار من بين اللاجئين المذعـورين ، أنه شاهد أعمالا بربرية .

كان رجال الميليشيا : على شكل مجموعات من خمسة او ستة اشخاص ينظمون عبر الشوارع ودون توقف ، عمليات المطاردة . وتحدث الشهود عن عمليات الاعدام وعن الاسر التى كانت تخرج من مخابئها وتقتل فى مكانها . كذلك تحدثوا عن عمليات التعذيب وعن النساء اللواتى كن يغتصبن مرات متكررة ، ثلاث وأربع وخمس مرات وكانوا بعد ذلك يبترون أثدائهن قبل قتلهن . وبينما كان رجال الميليشيا قد استخدموا بكثرة فى اليوم السابق ، البلطه والسكين ، كانت الوسائل المستخدمة فى يوم الجمعة هذا أكثر سرعة بكثير : كان اطلاق النار يتم عن قرب .

كان رجال يرتدون الملابس العسكرية يتفحصون من وقت الى آخر ، أكوام الجثث فاذا وجد أحد ما زال يتحرك كان يقضى عليه . وكانوا بعد ذلك كثيرا ما يرسمون بسكاكينهم صلبانا على أجساد ضحاياهم . وقد روى طفل فى الثالثة عشرة من عمره لجنود اسرائيليين ان صغر قامته قد نجاه عندما أعدم رجال الميليشيات بالرصاص أمام حائط مجموعة من الرجال كان هو من بينها . وقال أحد الجنود أن هذه الرواية ذكرته بطفولته عندما علم كيف نجا اطفال يهود ، خلال الحرب العالمية الثانية ، من فصائل تنفيذ الاعدام النازية ، بفضل صغر قامتهم . وفى مكان آخر كان الناس يربطون أحياء خلف سيارات المسلحين وتسحل فى الشوارع . وكانت جثثهم تكدس بعد ذلك فى جراج . ووجد أحدهم مبتور العضو التناسلى .

فى كل هذا النهار ، أشار نبأ واحد فقط عن اشتباك فعلى داخل المخيمات . وقد حدث هذا فى صبرا ، حيث كمن مسلحون لبنانيون أو فلسطينيون لمهاجميهم جنب السوق . وبدا أن الكتائبيين لم يواجهوا أية مقاومة مسلحة أخرى .

فى يوم الجمعة هذا ، وصلت أيضا الشهادات الاولى عن انطلاق شاحنات مكتظة بالمدنيين نحو جهات مجهولة . لقد سجل أحد مصورى التلفزيون الدانماركى م. بيترسن M. Petersen مشهدا لرجال الميليشيا وهم يدفعون رجالا ونساء وأطفالا فى شاحنات على طرف مخيم شاتيلا . وقد حصل هذا على بعد ٤٠٠ متر من موقع اسرائيلى .

قال أهالى قريتى الشويفات والحدث ، الواقعتين جنوبى بيروت ، أنه عند ظهر يوم الجمعة ، عبرت منطقتهم ثلاث شاحنات ضخمة وناقلتان أصغر حجما ، كلها مكتظة بالمدنيين . ولم يجد أحد أثرا لهؤلاء الناس . كذلك وصل بعض الناجين الى مكاتب الصليب الاحمر فى بيروت . هم أيضا قالوا ان أعضاء من أسرهم قد أرسلوا بالشاحنات الى جهات مجهولة ولم يعدوا .

نقل بعض السكان من شـــاتيلا أنه قبل الظهر بفترة قصيرة قام رجال الميليشيا بجمع حوالى المئة رجل فى الشارع الرئيسى جنوبى المخيم . وبعـــد أن فرزوا الفلسطينيين واللبنانيين بدأوا بتعـــذيب الاولين ممزقين وجـــوههم بالسكاكين وهم يستجوبونهم .

بين الساعة الحادية عشرة والظهر ، ظهر رجال مسلحون داخل مستشفى عكا جنوبى شـــاتيلا حيث قتلوا عـــددا من المرضى وقضوا على الجرحى فى فراشهم قبل أن يقتلوا عـــددا من العاملين فى المستشفى والسكان الذين لجأوا اليه . وهنا اغتصبت ممرضة فلسطينية تدعى انتصار اسماعيل وتبلغ من العمر ١٩ عاما ، أغتصبت عشر مرات من قبل رجال ذوى لهجة جنوبيـــة مميزة ، تابعين لقـــوات ســـعد حـــداد . لم يمكن التعرف على جسدها المشوه تمـــاما لدرجـــة أن دبلتها كانت الدليل الوحيد عن هـــويتها . أكدت زميلة لبنانية للضحية ، صحة هـــذا الحادث . ومن داخـــل المستشفى أجبر رجال الميليشيا حـــوالى أربعين شخصا بالصعود على شاحناتهم . ولم يعثـــر عليهم بعـــد ذلك . كما ذبح بأعصاب باردة طبيبان فلسطينيان ، على عثمان وســـامى الخطيب وموظف مصرى(*) . وحاول أشخاص آخرون الوصول الى أول حـــاجز اسرائيلى يبعـــد حوالى ٢٠٠ متر فأصبتهم قنبـــلة يـــدوية وقتلت ثلاثة منهم وجرحت رابعا . روى أحـــد الجرحى اللبنانيين وكان فى المستشفى ، أن أحـــد رجال الميليشيا اقترب من سرير شاب يبلغ من العمر ١٤ عاما واسمه مفيـــد أســـعد كان قد جرح فى اليوم السابق : « سحبوا الغطاء عن رجليه بفـــوهة البندقية الرشاشة وسألوه : « هـــل أنت فلسطينى » ؟ هز لهم رأسه بالايجاب وأشار لهم بأصبعه الى هويتـــه تحت الوســـادة . حينئذ قالوا : أنت فلسطينى وما زلت حيا ؟ صعب الواحـــد يموت ! أليس كذلك ! سننهى العمل وسينقص واحـــد . ثم قضوا عليه » .

أخلى الصليب الاحمر الدولى الجرحى بعـــد حين . خـــلال النهـــار ، جهزت مجموعات من الكتائب مقابر جماعية لدفن مئات الجثث المبعثرة على الارض . وكانت الجرافات تحفر الحفر جنوبى شـــاتيلا فى منتصف المسافة بين موقع اسرائيلى ومركز قيادة الجيش ، اذن كان من غير الممكن ألا يلاحظ الاسرائيليون ذلك . عند الساعة الرابعة بعـــد الظهر شاهد القائم بالاعمال النرويجى جرافة مليئة بالجثث . بدأت رائحة الجثث تفسد الجـــو حـــول الاماكن التى كان يتمركز فيها الجنود الاسرائيليون بسبب الحر الشـــديد فى بيروت فى مثل هـــذه الايام .

(*) هـــو الشهيد أحمد عرابى وكان يعمل بقسم التخطيط بجمعية الهلال الاحمر الفلسطينى (م. ع.) .

خلال فترة الصباح وحتى بداية بعد الظهر تجمعت قوات كتائبية جديدة بالقرب من المطار . وقد لاحظ رون بن بيشاى Ron Ben Yichai المراسل العسكرى للتلفزيون الاسرائيلى الذى كان موجودا آنذاك فى بيروت الشرقية مع فرقته ، لاحظ رتلا كتائبيا مكونا من عشر سيارات عسكرية (كوماندكارز) ، وسيارتى جيب تحمل كل منها مدفعا عديم الارتداد ، ومجنزرات ، يقطع حى الحازمية باتجاه المطار . وقد التقى بعد قليل أيضا فى بيروت الشرقية ، فى حى سن الفيل ، برتل آخر من السيارات المدرعة والمجنزرات . اشار الى مصوره كى يبدأ عمله لكن القائد طلب من جنوده بأن يصادروا الفيلم. حينئذ كشف رون بن بيشاى عن هويته وشرح بأنه يعمل للتلفزيون الاسرائيلى . فتراجع القائد عن مصادرة الفيلم وأمر رجاله بمتابعة الطريق . وسألهم الصحفى : « الى أين أنتم ذاهبون » ؟ رد القائد : « مهمة عسكرية » . تبعه بن بيشاى حتى المطار حيث اكتشف القوة الكتائبية وكانت تجهز نفسها للذهاب الى المخيمات . وقد عد فى هذا المكان ١٣ دبابة ومنها عدد من الشيرمان م. ٤٧ (Sherman M-47 ومن الت ـ ٥٤ ، (T-54) وشاهد مدافع المورتر من عيار ١٢٠ م. م. تحملها المجنزرات ، وناقلات تحمل الرشاشات الثقيلة ، وعددا غير قليل من السيارات العسكرية (كوماندكارز) كما شاهد أيضا بعض سيارات الاسعاف . كان عتاد الجنود معسدا على الارض : الخوذات والتجهيزات الاساسية للقوات اللبنانية وفرها الجيش الاسرائيلى . حتى الملابس الماثلة ، فقط استبدلت شارة « جيش الدفاع الاسرائيلى » بشارة « القوات اللبنانية » .

حسب تقدير المراسل الاسرائيلى فان هذه القوات تمثل تقريبا كتيبتين صغيرتى الحجم . كثيرون هم الذين يحملون شارة « الشرطة العسكرية » (M.P.) . هم أنفسهم الذين شوهدوا فى اليوم التالى فى صبرا وشاتيلا عند نهاية المذبحة . سجل بن بيشاى شريطا مصورا عن رجال الكتائب وكان عدد آخر من الاسرائيليين موجودا وقد التقطوا لهم الصور . وقد نشرت الافلام والصور وعرضت فى التلفزيون فى اسرائيل منذ اليوم التالى للمجازر . بانتظار الرحيل ، كان الصحافيون الاسرائيليون يتحدثون مع الضباط والجنود الكتائبيين . لم يترك هؤلاء أى شك عن طبيعه مهمتهم وكانوا يعلنون : « سنقطع رقابهم » ، « سننتهك أعراضهم » . وكانوا يربطون الكلام بالاشارة ليوضحوا نواياهم ويجرون بأصابعهم على الرقبة . قال أحدهم : « هذه حصتنا فى المعركة » وقد تذكر المراسل الاسرائيلى الكس فشمان Alex Fishman أنه سمع أحدهم يقول : « قبل الانطلاقة ، يجب أن أتناول جرعة كافية من الحشيش » . أخذ الكثيرون معهم كمية من الخمور . همس ضابط اسرائيلى يعمل فى مركز القيادة الرئيسى للجبهة الشمالية ، كان موجودا هناك ، همس لصحفى من التلفزيون

الاسرائيلى : « هل سمعت عما يرتكبه الكتائبيون فى المخيمات ؟ أعمال شنيعة ، أعمال شنيعة » !

فى غرفة عمليات الكتائب المرتجلة . تفحص الضباط الصور الجوية التى وفرها الاسرائيليون وناقشوا نتائج الاحداث . كانوا ينتظرون حصيلة الاجتماع بين أحد ضباطهم الكبار ورتباء اسرائيليين . وقد أعلن لهم هذا الضابط بعد عودته أنه حصل على الاذن المطلوب . تلقى حينئذ ، ۲۰۰ رجل الامر بالاستعداد للانطلاق . (بقى الآخرون فى مكانهم حتى اليوم التالى ثم اختفوا وعادوا الى قواعدهم بعد أن نشر نبأ المجازر فى سائر أنحاء العالم) . قام عندئذ ضابط كتائبى ذو لحية باعطاء آخر تعليماته باللغة العربية فلم يفهمه الاسرائيليون . وتحرك الرتل باتجاه المخيمات . فيما عدا التجهيزات العسكرية كان معهم جرافتان أحداهما وفرها الجيش الاسرائيلى . روى الشهود ان الجرافات التى أدخلت الى المخيم بلغ مجملها ثلاثة .

عاد الجنرال ايتان و دروری الى المطار بعد لقائهم بفادى افرام وبقادة القوات اللبنانية فى حين كان الكتائبيون يتهيأون للانطلاق . وقد تحدث رئيس هيئة الأركان الى بعض الضباط قبل أن يستقل الطائرة التى كان يقودها بنفسه ثم هبط فى مطار رمات دافيد فى اسرائيل ومن هناك ذهب الى قرية تل أدشيم حيث يسكن . وهناك احتفل فى سهرة يوم الجمعة هذا ، بعيد العام اليهودى الجديد . اتصل بعد حين من منزله بالوزير ارييل شارون ، فى التاسعة مساء حسب قول هذا الاخير . وكشف شارون بعد ذلك ، بشهادته أمام لجنة التحقيق أنه فى هذه الليلة قال له ايتان : « الكتائب زادوا عن الحد » وأضاف أنه علم فى هذه اللحظة فقط بما كان يحدث فى المخيمات.

اتبعت القوة الكتائبية طريق المطار ثم اتجهت شمالا . ودخلت الى شاتيلا من الجنوب ومن الشرق وباشرت فورا « العمل » . التقت حين وصولها الى المخيم بمجموعة من النساء والاطفال وقد قتلوا على الفور . ثم ذبح رجال الميليشيا فى أول بيت صادفهم أسرة بكاملها كانت مجتمعة حول مائدة . وقد باشرت جرافة بهدم البيت حالا . كانت الجرافات تقوم أحيانا بهدم البيوت على أصحابها وهم أحياء وكان المهاجمون يطاردون ضحاياهم حتى فى الملاجىء ، والذين لم يستطيعوا الهرب عند وصولهم كانوا يقتلون فى الداخل . لم يحاول المهاجمون فى أية لحظة التمييز بين الفلسطينيين واللبنانيين . لم يجدوا الوقت لذلك . كل من يصادفهم فى الطريق عليه أن يموت .

كل الشهادات المتعلقة بتصرفات المهاجمين الذين دخلوا الى المخيمات يوم الجمعة ظهرا ، متطابقة : لقد أعدت العملية وأديرت بدم بارد .

يستخلص من النقاش الذى دار بين الصحافيين الاسرائيليين والاجانب والضباط الكتائبيين أن النظرية (التى أخذ بها فى الاســاس) القــائلة بأن التقتيل والتدمير قد نتجا عن ثورة غضب وانها عملية ثأرية عفوية سببها مقتل بشير الجميل ، هى نظرية خاطئة . ويبدو أن هذه المذبحة قد ارتكبت عمدا . كان هدفها احداث هجرة فلسطينية كثيفة من بيروت ومن لبنان . ان وحشية الجريمة — من تشويه ، وبتر الاعضاء ، وشق الاطفال نصفين ، وهرس رؤوس الرضع على الحيطان — يمكن أن تفسرها ارادة الارهاب .

لقد أخذ بهذه الفرضية زئيف شيف المراسل العسكرى لجريدة هآرتس وايهود يأرى (Ehoud Yaari) المختص بالشئون العربية فى التلفزيون الاسرائيلى ، يدعمها تدمير المنازل المنظم ، ولن يبقى أمام الفلسطينيين الذين فقــدوا مأواهم الا الرحيــل . وعلى عكس ما ادعــاه البعض فان الجرافات التى طلبها الكتائبيون من الاسرائيليين لم تكن غايتها تدمير الحواجز المحتملة وعلى العموم كان العسكريون الاسرائيليون يعرفون تمــام المعرفة استنادا للصور الجوية أنه لم يكن يوجد فى المخيمات لا حواجز ولا متاريس . وان غاية الجرافات الوحيدة الممكنة كانت تدمير المنازل ودفن الجثث فى الحفــر الجماعية . وقد أعلن الجنرال يارون أمام لجنة التحقيق يوم ٧ تشرين الثانى — نوفمبر : « كنا نعلم انهم يريدون تدمير المخيمات » . وعلى العموم ، فان تدمير المنازل بواسطة الجرافات بهــدف أن يهرب سكانها هى وســيلة كان الاسرائيليون قد جربوها عدة مرات منذ بداية الحرب ، منذ شهر حــزيران — يونيو ١٩٨٢ . وبالفعل ، فان مخيمات اللاجئين فى الجنوب قصفت ثم دمرت بواسطة الديناميت والجرافات . والعنــوان الذى أعطى لهذه العملية فى اسرائيل هــو « تدمير البنيــة التحتيــة للمخربين » . الهــدف كان منع الفلسطينيين من أن ينتظموا كأسرة قومية فى لبنان . لذلك كان من الضرورى تدمير ليس فقط المنازل لكن أيضا المنشآت الفلسطينية المختلفة ، (مدارس، ومستشفيات ، ومكاتب مختصة بالمساعدة الاجتماعية بجميع أنواعها) ، ثم « تفريغ » السكان من الذكور (لقد أوقف آلاف الرجال وآلاف اخرون اضطروا الى الهرب) .

فى بداية الحرب ، تلقى ضباط الوحدات الاسرائيلية العاملة لنجــدة السكان فى لبنان توجيهات واضحة تماما من قبل الوزير يعقوب مريدور Yaakov Méridor المسؤول عن مسألة اللاجئين فى الحكومة : « ادفعوهم شرقا نحو سوريا ، اتركوهم يرحلون لكن لا تسمحوا لهم بالعودة » . ولانه

تكلم عن ذلك علنا وبسبب اعلانه عن معلومات أخرى تتعلق بحرب لبنان ، رأى العميد دوف يرمياه Dov Yirmiyah اسمه محذوفا من قائمة كوادر الاحتياط . طبعا لم يتحقق هذا « البرنامج » . صحيح أن هذه المرة وخلافا لما كان عليه الوضع فى عام ١٩٤٨ ، لم يكن للفلسطينيين مكان ليرحلوا اليه . ولكن هذا البرنامج كان موجودا بالفعل . وقد اعترف بذلك الوزير يعقوب مريدور عندما أوضح فى الاجتماع الوزارى يوم ١٣ تشرين الاول — أكتوبر ١٩٨٢ أن البرنامج يقضى بترحيل لاجئى جنوب لبنان نحو الشمال . كان الهدف الفعلى اذن هو تدمير مخيمات الجنوب بشكل منظم يدفع اللاجئين الى الهرب .

فيما يتعلق بصبرا وشاتيلا لم يكتف الكتائبيون بتدمير المنازل . حسب كل الشهادات ، كانوا يريدون أيضا ارهاب الناس ليضمنوا أن اللاجئين سيندفعون مذعورين خارج لبنان . وهذا حلم كتائبى قديم : تخفيض عدد اللاجئين من ٥٠٠,٠٠٠ ألف الى ٥٠ ألف حتى « لا يخلون بالتوازن السكانى بين المسيحيين والمسلمين » . (من المعلوم أن أكثرية الفلسطينيين ينتمون الى الطائفة الاسلامية) . والهدف هو أيضا اعادة النظر بوضع الفلسطينيين الخاص فى لبنان واخضاعهم للقوانين الخاصة بالاجانب واجبارهم على أن يكون نشاطهم السياسى محصورا .

حينما دخل الجيش الاسرائيلى الى بيروت الغربية لم يخف البعض تخوفاتهم من أن يتبع هذا الهجوم الجديد حتما مجزرة ضد الفلسطينيين وتدمير مخيماتهم . وعلى سبيل المثال كان هذا حال النائب السابق يورى أفنيرى رئيس المجلس من أجل السلام : اسرائيل — فلسطين . ففى يوم الجمعة هذا ١٧ أيلول — سبتمبر ، أصدر تنبيها وأتهم الجنرال شارون بأنه يسعى ، تحت غطاء عملية عسكرية ، لتدمير مخيمات بيروت الغربية كما سبق وفعل فى مخيم عين الحلوة بالقرب من صيدا ، ومخيمى الرشيدية والبرج الشمالى بالقرب من صور ، « مسببا بذلك آلاما جديدة وهائلة لعشرات الالوف من المدنيين الفلسطينيين الابرياء الذين طالما تعذبوا من هذه الحرب » . وقد صدر هذا البيان فى الصحف منذ الصباح .

وطوال اليوم ، أكملت القوات الاسرائيلية تدمير مراكز الدفاع الاخيرة فى العاصمة . وكانت الاشتباكات أحيانا عنيفة جدا داخل الاحياء الشعبية حيث استولى الاسرائيليون على أهم مقار للاحزاب التقدمية اللبنانية . فى شارع المزرعة احتلت القوات الاسرائيلية المركز الرئيسى لـ م.ت.ف. وكذلك مكاتب مجلة **الهدف** وهى مجلة تصدرها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التابعة لجورج حبش . وقد احتلت أيضا مقار التنظيمين الناصريين : المرابطون

والاتحاد الاشتراكي العربي . أما المركز الرئيسي للحزب التقدمي الاشتراكي التابع للقائد الدرزي وليد جنبلاط ، فقد احتله في البداية مسلحون تابعون لسعد حداد ، ثم سلموه للاسرائيليين . وقبضت القوات الاسرائيلية على مئات الاشخاص داخل الاحياء السكنية خلال حملات اعتقال . وكان الموقوفون ، وهم بأكثريتهم من الشباب ، يقتادون الى المدينة الرياضية حيث كان يتم التدقيق بهوياتهم : وكان يسجن من « اشتبه به كمخرب » ويفرج عن الباقين .

على الصعيد الدبلوماسي ، تكاثرت الاحتجاجات ضد دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية . لكن تصريح الرئيس ريجان لاقى تقدير مناحم بيجن . وكان بالفعل قد صرح يوم الجمعة هذا بأنه متأكد بأن اسرائيل « دفعت للتقدم بسبب هجوم قامت به مليشيا يسارية ما زالت موجودة هناك . » ومن جهتها ، تابعت وزارة الخارجية الاميركية جهودها في اتجاهات مختلفة . وخلال فترة بعد الظهر ، التقى مجددا الوزيران الاسرائيليان للدفاع والخارجية آرييل شارون واسحاق شامير ، المبعوث الخاص موريس درايبر . وطالب الدبلوماسي الاميركي الذي كان في مناسبات أخرى قد اصطدم عدة مرات مع آرييل شارون ، بأن يسلم الجيش الاسرائيلي مواقعه في وسط المدينة الى الجيش اللبناني .

أجابه شارون : « سيبدأ العام الجديد بعد بضع ساعات ، ولم نعد نستطيع أن نفعل أي شيء في هذا الخصوص » . (نقلا عن هآرتس) .
درايبر : « اننا نضيع أياما ثمينة فيما يخص تسليم المدينة للجيش اللبناني » .
شارون : « ان دخول جيش الدفاع الاسرائيلي يأتي بالسلام والامن ويمنع ذبح السكان الفلسطينيين في الشطر الغربي من المدينة » .

لم يكن الجمهور الاسرائيلي ولا بقية العالم قد علم بالمجازر التي كانت تجري في بيروت الغربية . وقد نشرت الصحيفتان المسائيتان الكبيرتان **يديعوت أحرنوت ومعاريف** ، أعدادا خاصة بمناسبة العام اليهودي الجديد . وقد حملت عناوين عن مقابلة أعطاها رئيس هيئة الاركان لهذه المناسبة « دخولنا الى بيروت الغربية منع حصول كارثة » .

في قواعدهم ، في بيروت وجوارها ، جلس الجنود الاسرائيليون حول موائد أعدت خصيصا بمناسبة العام الجديد . كان مراسل التليفزيون العسكري رون بن ييشاي بصحبه ضباط كبار لوحدة كانت قاعدتها تقع في بعبدا في الضاحية الشرقية . في الساعة الثامنة مساء ، سمع مجموعة من الضباط كانت كتيبتهم المدرعة تحاصر شاتيلا ، يروون أن جنديا وضابطا من وحدتهم يؤكدان أنهما شاهدا بأنفسهما تنفيذ اعدامات دون تحقيق مسبق على حائط من المخيم ، وضرب أحد السكان بالرصاص في رأسه لانه رفض أن يتبع

رجال المليشيا ، «وفظائع» أخرى . فأجاب الرائد أنه سيطالب بعمل التحقيقات وأنه سيصل الى رئيس هيئة الاركان اذا تطلب الامر ، ليعرف الحقيقة . وطوال باقى السهرة ، لم يتوقف الضباط عن الحديث عما يحصل فى المخيمات. عند الساعة التاسعة والنصف مساء قال لهم المراسل : « ان كنتم متأكدين مما تقولون سأتصل بوزير الدفاع ». وهذا ما فعله على الفور . (كل المراسلين العسكريين لديهم رقم تليفون الوزير الخاص) . كان مضطربا وقال له : « يجب عمل شيء ما فورا لوقف ما يحصل فى المخيمات . يعلم ضباطنا بما يحدث ، وبعد بضع ساعات ستعلم بذلك صحافة العالم كله وسنكون بوضع حرج » . استمع آرييل شارون بانتباه ثم سأل الصحفى ان كان على علم بتفاصيل أخرى . فأكد له بن ييشاى أن الجنود الاسرائيليين قد شاهدوا عمليات اعدام فورى فى شاتيلا ، على مقربة من مركز قيادة المغرزة . وقال بعد ذلك : « لم يأت الوزير برد فعل . شكرنى وتمنى لى عاما سعيدا » . « انطباعى أميل أنه كان على علم بما كان يدور فى المخيمات » .

خلال يوم الجمعة هذا ، حاول العديد من المراسلين الاجانب الدخول الى المخيمات بعد أن سمعوا الشائعات المقلقة عما يدور فى صبرا وشاتيلا . وقد قطع الطريق أمام المراسل الخاص لمجلة **النيوزويك** الامريكية حاجز مكون من جنود اسرائيليين ومن رجال تابعين لسعد حداد . ووفقا لكلامه ، فان أحد هؤلاء الاخيرين قد يكون قال له : « لا يمكن أن تدخل لاننا الان نذبحهم » . وأن الضابط الاسرائيلى قد شرح له أن قوات جيش الدفاع الاسرائيلى قد تلقت أمرا بعدم ازعاج المليشيات التى تقوم « بتنظيف المنطقة » .

السبت ١٨ أيلول ـ سبتمبر

فى هذه العملية لا نأخذ أسرى :

يوم السبت ، عند الفجر ، كانت المذبحة مازالت تتواصل . استمرت حتى الضحى . فى كافة الانحاء ، كان المسلحون يواصلون القتل ، وكانت الجرافات تواصل هدم المبانى . وكلفت مجموعات بردم الحفر الجماعية .

عند الساعة السادسة صباحا ، وجهت مجموعة من رجال الميليشيات نداء الى أهالى صبرا بواسطة مكبرات الصوت وطلبت منهم أن يغادروا البيوت والملاجىء وأن يتجمعوا . وكانوا يرددون فى كل الشوارع : « سلموا تسلموا » خرج بضع مئات من الاشخاص ، يقول البعض أنهم اكثر من الف ، كان معظمهم من الشيوخ والنساء ، والاطفال ، وتجمعوا كالمخبولين فى الشارع الرئيسى . وقد رفعوا الاعلام البيضاء والاعلام اللبنانية . اقتادهم رجال الميليشيا نحو الجنوب الى الشارع الرئيسى فى شاتيلا ، شارع أبو حسن سلامه . على الطريق ، كان المسلحون يأخذون أحيانا مجموعات صغيرة من الناس يصفونها أمام حائط ويرمونها بالرصاص . وكانت الجرافة تأتى بعد ذلك لتدمر البيت فتختفى الاجساد تحت الانقاض . بالقرب من المخرج ، فرزت مجموعة من الكتائب الفلسطينيين واللبنانيين ثم الرجال والنساء بين الفلسطينيين وعندئذ أمروا بالجلوس . حولهم الجثث مكدسة . صوت الجرافات التى تخرق البيوت لايطاق . بعد قليل كان يظهر عدد من المسلحين ويختارون جموعة من بين الفلسطينيين ويذهبون معها . أمروهم بالصعود على شاحنات كانت متوقفة أمام السفارة الكويتية . لم يكن هناك مكان للجميع . فأجبر المسلحون الواقفين بأن يتمددوا ، وأن يضعوا وجوههم على الارض كى لايروا الاتجاه الذى تأخذه الشاحنات . لن يراهم أحد بعد ذلك . مرات كانت تسمع ، بعد بضع ثوان فقط من رحيل مجموعة جديدة أصوات رشقات غزيرة . وقد سمع أحد الفلسطينيين الموجودين رجل مليشيا يهمس لاحد رفاقه : « من الافضل أن نصفى منهم أكبر عدد ممكن قبل أن نسلمهم للاسرائيليين » .

عند الساعة الثامنة صباحا أمر المسلحون أهالى المخيم بالتوجه نحو المخرج الجنوبى . هنا كانت سيارة « لاند ــ روفر » واقفة وفى داخلها رجل يقوم بالتعرف عليهم . فكان يشير الى بعضهم فيؤخذون ولم يعد أحد يراهم .

وبعد ذلك ، شهدت بعض النساء بأنها رأت هؤلاء الرجال يصعــدون الى الشاحنات . وكان الباقون يتابعون طريقهم التفافا حول المخيم باتجاه المدينة الرياضية . فى الطريق ، قتل انفجار عددا من بينهم . ولم يعرف ان كان ناتجا عن لغم أرضى أم عن قنبلة يدوية .

فى مكان غير بعيد ، من مركز قيادته بالقرب من السفارة الكويتية ، لاحظ الجنرال الاسرائيلى أموس يارون Amos Yarom رتل هؤلاء الشيوخ والنساء والاطفال الذين كانوا يبكون وذوى ثياب ممزقــة وكان قسم منهم تغطيه الدماء . فأخذ مكبرا للصوت وأعلن أن النساء والاطفال يمكنهم العوده الى منازلهم وأنه لن يحصل لهم شىء . وقد وزع عليهم الجنود الاسرائيليون خبزا وماء وبرتقالا . أما الرجال ، فقد أدخلوا الى الملعب للتحقيق معهم . طالبهم الاسرائيليون بالكشف عن مخابىء المخربين » . وروى رجل ، أفرج عنه بعد ذلك ، أنه أجابهم أن « المقاتلين قد غادروا بيروت بالبواخر » ؛ وقد هدده حينئذ المحقق بالتعبير التالى : « اذا لم تقل لنا الحقيقة فأنت تعلم أنه يوجد هنا كتائبيون وجنود تابعون لسعد حداد ! » . وبالفعل لقد كان هؤلاء موجودين أيضا داخل الملعب . على أية حال ، فقد تم العثور على ٢٨ جثة لسجناء مقيدى اليدين ، داخل المدينة الرياضية ، وأربع أخرى كانت فى حوض السباحة .

فى نفس الوقت ، عند الساعة السادسة أو السابعة صباحا — هنــا تختلف الشهادات — تقدم سبعة رجال من مليشيا الكتائب الى مستشفى غزة فى الجزء الشمالى من مخيم صبرا . وأمروا الهيئة الطبية بالتجمع بالقرب من المدخل ولم يسمحوا الا لطبيب واحد وممرضة واحدة بالبقاء والاستمرار فى العناية بالمرضى والجرحى . أعضاء الهيئة كانوا من بريطانيا ، وأيرلنــدا ، وجمهورية ألمـانيا الاتحادية ، وفرنسـا ، وهولندا ، والنرويج ، والسويد ، والدانمارك ، وفنلندا والولايات المتحدة (امرأة يهودية تدعى الين سيجل Ellen Siegel كان بينهم ممرضان فلسطينيان . بعد عدة محاولات للتخويف وبعض الشتائم الموجهة الى « هؤلاء الاوغاد الذين يعملون فى خدمة أعدائنا » ، طلب أحد المسلحين من ممرض فلسطينى أن يكشف عن هويته . فاعترضــه الطبيب النرويجى بير مهلومشاجن Per Maehlumshagen وطلب معرفة غرض هذا التحقيق . رد عليه رجل الميليشيا : « قم بعملك أنت ، ودعنى أقوم بعملى » . وسحبوا الفلسطينى الى داخل المستشفى وقتلوه ؛ تبعه بعد قليل رفيقه على درب الموت وكذلك عضــو آخر من الهيئــة وكان سوريا ، ثم اقتادوا باقى الهيئة الى الشــارع الرئيسى فى شاتيلا حيث كانت مئات الاشخاص مجمعة ، ومن هناك الى مركز قيادة الكتائب فى مبنى الامم المتحــدة الواقع على مفرق السفارة الكويتية . خلفهم كان رجال الميليشياالذين

يراقبونهم يصرخون : « هؤلاء هم عصابة بادر ـــ ماينهوف » ، و « شيوعيون أوغاد » . هنا أوقف الجنرال يارون المجموعة وطلب من الكتائبيين المرتدين البريهات السوداء وعلى بزاتهم شارة الشرطة العسكرية M. P. اطلاق سراحهم . عندئذ سلموا للسلطات الاسرائيلية التى قدمت لهم الطعام وأطلقت سراحهم بعد أن قامت بالتعرف على هوياتهم .

طوال فترة الصباح ، كان العديد من سكان المخيم يؤخذون ثم يختفون . كانوا عادة يكدسون فى شاحنات تنطلق الى جهات مجهولة . من أكثر الاسرار التى يصعب احتمالها فى كل القضية هو ما يتعلق بالمفقودين . من المؤكد أنه لن يعرف ابدا عددهم الحقيقى . لقد عثر على جثث على طول الطرق المؤدية الى الجنوب ، وتشير كل الاحتمالات الى انها ألقيت من الشاحنات . تمر هذه الطرق المغطاة بالجثث ، بمنطقة الاوزاعى ، وخلدة ، وحارة الناعمة ، والناعمة وكفر شيما ، وقد عثر أيضا على جثث أخرى على طريق المطار .

عند الساعة العاشرة ، عاد الصمت يسود المخيمات وبدت فارغة من الاحياء . بالقرب من مدخل شاتيلا وفى الحارات الاولى كانت الاجساد تتشابك وكانت رائحة العفن الخانقة تتزايد بسبب الحر . كان الصوت الوحيد المسموع هو طنين سحب من الذباب فوق الجثث . اقتربت أول دبابات اسرائيلية من المدخل ، وكان هذا يدل عن أن كل شىء قد انتهى . صعد مسلحو القوات اللبنانية الى ناقلاتهم واخلوا المخيمات ، متجهين نحو قواعدهم .

عاد السكان الى الظهور شيئا فشيئا وبدأ آخرون ، كانوا قد تمكنوا من الفرار ، بالعودة واخذوا فى فوضى لا توصف ، يبحثون بين الانقاض للعثور على أهلهم . تحولت الصيحات الاولى الى عويل من الالم . عند الظهر ، وصلت أول فرقة من الجيش اللبنانى ، وفى الحال أقفلت المخيمات .

ولاول مرة ، أبلغ لاجئون مرعوبون أفلحوا بالخروج من المخيمات ، العالم الخارجى بما حصل . وعند الظهر اسرع مراسلو الصحف ، والاذاعات والتليفزيون ، الى صبرا وشاتيلا . وكان للصور التى حققوها وللاوصاف التى نشروها ، أثر جسيم . وفيما يلى مثال عن نبرة تلك التحقيقات الاولى . كتب مراسل الواشنطن بوست : « لقد هدمت الجرافات المنازل وحولتها الى تراب بينما كان السكان فى داخلها . تشبه الجثث المكومة دمى دون حياة ألقيت هنا من جهة مجهولة ، فوقها ، تشهد الحيطان المثقوبة على انهـا رميت بالرصاص . فى حديقة صغيرة ، ترقد امرأتان كأنهما كيسين من

القمح بالقرب من انقـاض يظهر منها رأس رضيع ذو عينين ثابتتان . بالقرب منهم ، هناك رضيع مقمط ومقلوب على ظهره ورأسه مهروس . فى الجهـة الاخرى ، على درب صغير ، عثرنا على طفلتين ، تبلغ الاولى ١١ عاما والثانية بضعة شهور : القيتا على ظهريهما ، وسيقانهما ممـدودة وقـد خرق راسيهما ثقب صغير . على بعد خطـوات من هنا ، رمى بالرصاص ثمانية رجال على حائط مبنى يحمل الرقمين : ٤٢٢ و ٤٢٤ . كل زقاق مغبر يروى قصته وفى احـدى الحارات كانت ١٦ جثـة مرمية على بعضها البعض ملتوية وغريبة الشكل . وفى باحـة صغيرة لبناء حجرى كانت امرأة تقارب الاربعين مرتدية ثوبا قطنيا ، ملقـاة على ظهرها . كان وشـاح يغطى رأسها وكانت عيناها مفتوحتين واسعتين . ضربوها برصاصة بين الثديين . بالقرب من دكانة صغيرة ، هناك عجوز يبلغ السبعين من عمره ملقى ورأسـه فى التراب . ما زالت تلوى يده حركة التوسل ، وهى الان مدارة نحـو حـذاء امرأة بقيت تحت الانقـاض . لقـد قتل عن قرب .

بعـد قليل كان يجـوب ما تبقى من حـوارى المخيم الصحافيـون والدبلوماسيين ، أمريكيين وأوربيين ، وبينهم بول مارك هنـرى سـفير فرنسا ، واكتشفوا مئات الجثث المبعثرة ذات الاعضاء الممزقة . أم تضم رضيعا بين ذراعيها وقـد قتلتهما الاثنين رصاصة فى الرأس . نساء عاريات ، مكبلة الارجل والايدى وراء الظهر . رضيع رأسه مهروس فى بركة من الدماء وبجواره زجاجة رضاعه . على لوح للكوى كان احـدهم قـد وضع أعضاء رضـيع مقطعة ورتبها باعتناء على شكل دائرة والرأس يتـوج الكل . تشير احصاءات اليونيسيف UNICEF الى مقتل عشرة أطفال مقابل كل مقاتل سـقط خلال كل الحرب فى لبنان . يسود الانطباع فى صبرا وشـاتيلا أن القتـلة استثيروا خاصـة ضـد الاطفال . قالت أم منهارة تمـاما للصحافيـين : « رجـوتهم أن يعفوا عن ابنى البالغ ٥ سنوات لكنهم أجابونى : « عندما يكبر سيصبح مخربا » ثم قتلوه » . تحت بعض الجثث كان المهاجمون قـد وضعوا قنابل يدوية منزوعة الامان لتقتل أهالى الضحايا الذين قد يحاولون استرجاع الاجساد . لقـد خضع كثيرون لعمليات التعـذيب قبل أن يقضى عليهم ، وعلى بعض الجثث كانت علامات التشويه بعـد الموت واضحة تماما .

هنـاك بعض الحفر الجماعية أعـدت بسرعة . كانت تخـرج من التراب المقلوب حـديثا ، أعضاء مختلفة ، أذرع أو رؤوس أو سـيقان . الصحافيون ، وقـد أخرسهم الذهـول ، يعـدون الجثث ، كل لنفسه . وصل أحـدهم الى عـدد ٨٠ ثم توقف وتقيأ . وقـد عـد آخر ١٥٠ ضحية فى مجموعة واحـدة من المنازل . لكن هـذه الارقام لا تعنى شيئا : عـديدة

هى الضحايا المدفـــونه تحت البيوت المنهارة : بيــدو على بعض الاجساد انها مقتولة منذ صباح الخميس . وبعضها الاخر منذ ساعات فقط .

على حائط سليم لمنزل محطم ما زالت صــور مقــدسه معلقـــة . لقــد كان مستأجروها من المسيحيين ولا شك أنهم لاقــوا حتفهم أيضا .

روت جميلة للصحفيين وهى امراة تبلغ من العمر ٣٥ عاما ، ترتدى الثياب السوداء ، ويعمل زوجها فى العربية السعودية : « حين بدأ اطــلاق النار ، يوم الخميس ، هربت من البيت مــع ابنتى . وكان مطلقو النــار كامنين ، ويحاصرون مدخــل ومخرج شــاتيلا . لكنى تمكنت من التســلل عبر حارة حتى مستشفى عكا » . قاطعتها ابنتها أمل وسنها ١٧ عاما : « كانت جــدتى قــد غادرت المخيم للبحث عن طعام . عادت ، لكنها لم تصــل حتى المستشفى . منذ تلك الليلة بدأ بعض الناس يصرخ : « أنهم يذبحــونهم » ! وبدأنا نصــدقهم عندما وصل الجرحى الاوائل الى المستشفى ، عندما رأينــا أنهم أصيبوا عن قرب . قال لنــا احــدهم أنهم صفوا ٣٠ شخصا على حائط فى مكان ورموهم بالرصاص » . وعادت جميلة لتتكلم « عــدت الى المخيم يوم الجمعة صباحا لاحضار والدتى . فاجأنى أحد المسلحين ، أمسكنى من ذراعى واقتادنى الى منزل قريب من منزلى . كان فى الداخــل اربعــة جنــود . قال لى : « اخلعى ملابسك واتركيهم يفعلون معك ما يريدون ، والا ستسوء الامور بالنسبة لك » . ثم اغتصبونى . استدارت جميلة نحو الصحافيين واضافت : « أرجــوكم لا تنشروا اسم أسرتى ، أنتم تعلمون .. العار .. » وأضافت انه فى النهاية ، تركها المسلحون على قيد الحياة لانها لبنانية . كانت تحمل جــوار سفرها وأبرزته لهم . لكن لم يوفــق أهلها ، أولاد عمها واخــوها ، بنفس الحظ » . عندما وصلت الى بيتى وجــدت جسد والدتى فى الشارع . لففته بالبطانية . ثم وجــدت جسد أبى . كان قــد قتل فى سريره ، وبجواره كرسيه ذو العجلات . كان مقعدا . كان البيت قــد دمر جزئيا ، بواسطة الجرافات أو الديناميت ، لست ادرى . قالت ، وهى تدل على ما تبقى من منزلها ، لم يعــد عندى دار ، ولا نقــود ، ولا شىء . ماذا افعل ؟ فى هــذه اللحظــة وصلت ابنتها الثانية وصرخت : « وجــدنا الخال » ! توقفت جميلة عن الكلام . ركضت مع ابنتيها الى المكان حيث كان مسعفون من الصليب الاحمر قــد انتشلوا جسدا من تحت الانقــاض . توقفت ، عرفت أخاها ، وانهارت صارخة من الالم .

أمام ما تبقى من منزلها روت واحدة أخــرى من الناجيات قصة جارتها : « كانت جارتى تسكن أمامى . بقيت وأسرتها فى دارهم . يبدو أنهم لم يفهموا ما كان يحــدث . منذ وقت طــويل ونحن نعيش أصوات المعارك والقصف .

عند عودتنا وجدناها مكبلة الساقين واليدين ومذبوحة بالسكين . كانوا قد نزعوا لهـا سروالها وأعتقد أنها اغتصبت . لم نر أحدا من أسرتها » . هل شاهدت المهاجمين ؟ أجابت : « نعم ! لم يكونوا من الاسرائيليين . كانوا يرتدون البذلات ذات اللون الاخضر الخردلى دون أية شارة ، أو كانوا يحملون على صدورهم فى نفس الوقت شارة القوات اللبنانية وشارة (لبنان الحر) الخاصة برجال سعد حداد » أكد من كان خولها من الناجين هذه التفاصيل .

على الاسوار التى ما زالت قائمة ، يمكن أحيانا قراءة كتابات بعض رجال المليشيات . مثلا : «طونى مر من هنا » . « الله ، الوطن ، العائلة » (شعار الكتائب) . الامضاء : « الكتائب » وفى مكان آخر كتب أحدهم : « قوات بعبدات »(*) (اسم قرية تقع بالقرب من بكفيا) . وكانت بعض العبارات تتنافس فى درجة البذاءة . وهكذا كان يمكن أن تقرا على حائط العبارة التالية : « كلكم ... » .

كانت امراة جالسة على حجر تتمتم : « أمى ، وجدتى ، وأخوالى ، وخالاتى ، كلهم ، كلهم ، اذهبوا وشاهدوا ، كلهم فى الساحة » . كانت امراة تقف الى جنبها ، وهى ربة أسرة من شاتيلا أفلحت فى انقاذ جميع أولادها وقالت للصحفيين : « الذين يعرفون الركض وحدهم هم الذين استطاعوا أن ينجوا » .

من كل جهة ، نساء ما زالت تحت وطأة الصدمة ، تمشى فى كل اتجاه كالانسان الالى وكثيرا ما كانت تحمل فى اليد صورة لزوج أو لاخ أو لابن كى يساعدها أحد فى العثور عليهم . كان جو المخيمات لا يطاق . وكان الصوت يعلو بقدر ظهور الحقائق . لم يستثن المهاجمون الحيوانات ، وقد وجدت جثث ثلاثة أحصنة وكلاب وقطط .

كان جنود من الجيش اللبنانى ومنقذون تابعون للصليب الاحمر قد وصلوا الى المكان منذ انتهاء المجازر ودلوا صحافيى العالم كله على البناية المكونة من أدوار عديدة التى تشرف على مخيم شاتيلا : ومن المعلوم أن مركز القيادة الاسرائيلى يوجد هنا . سأل أحد المنقذين : « هل يصدق

(*) الارجح أن « قوات بعبدات » هذه هى قوات حراس الارز التابعة « لابتيان صقر » وكان شعارها طوال سنوات الحرب فى لبنان على كل لبنانى أن يقتل فلسطينيا . ومعروف أن قصر صقر هو فى قرية بعبدات (المترجم) .

احـد أنهم من فـوق لم يشـاهدوا ما كان يجرى هنا ؟ بل الواقع ، أن كل ذلك حـدث تحتانظارهم » ! حينئذ ، حاول الصحفيون التحـدث على انفراد مـع بعض الضباط الاسرائيليين الذين كانوا متواجـدين فى المنطقة خـلال هـذين اليومين وبالاخص مـع من كان منهم فى مركز القيادة . وبدا ان الكثير من هـؤلاء الجنود كان حقيقة مصدوما امام ضخامة المجازر . كان احـدهم يبكى مدرارا . وقال جندى آخر لصحفى اسرائيلى : « اليوم لا أستطيع أن أبوح بالحقيقة انى مضطر الى التكتم . لكنى سأتكلم يوما » . ولقـد تشبث معظمهم بالتعليمات التى كانت قـد وجهت اليهم وكانت اجابتهم : « لم نكن نعلم » . قال ملازم سنه عشرون عاما الى فريق التليفزيون الفرنسى : « كانت المنطقة عندى هادئة ، لم أسمع شيئا » . وصرح ضابط آخر : « لم نفعـل شيئا . نحن لسنا مسؤولين عن أعمال الكتائب السيئة . حتى أن جنـديا شابا ، فاقـدا أعصابه ، هاجم أحـد مراسلى الصحيفة الاسرائيلية اليومية معاريف وقال مؤنبا : « لمـاذا تفعل الصحافة ذلك ؟ لمـاذا يجب كتابة كل هـذا ؟ لمـاذا هـذه الصور ؟ لمـاذا هذه الاعلانات ؟ من يحتاج اليها . هـذا لايخـدم الا أعداءنا » .

يبدو أن الكتائب من جهتهم كانوا يميلون الى الافتخار . وقـد صرح ضابط من القـوات اللبنانية الى مراسل صحفى أمريكى : « انتظرنا سنوات كى نتمكن من الدخـول الى مخيمات بيروت الغـربية . ولقـد اختـارنا الاسرائيليون لاننا أفضل منهم فى هذا النوع من العمليات من بيت الى بيت » . وعندما سأله الصحفى ان كانوا قـد أسروا بعض الناس ، أجابه : « فى هذا النوع من العمليات لا نأخـذ أسرى » .

بعـد الظهر بقليل انتشرت الانباء الاولى فى العالم كله من خـلال المركز الصحفى الاسرائيلى فى بعبدات ، شرقى بيروت ، لان جميع الاتصالات الدولية بواسطة التليفون أو التلكس كانت قـد توقفت فى بيروت منذ أول الصباح . فى اسرائيل كان يوم السبت هذا ، الاول من يومى العيد بمناسبة العـام اليهودى الجـديد ، وكانت الاذاعـة تبث برامج للاعياد والموسيقى الخفيفة . فى الساعة الثانية ظهرا ، أعلنت الاذاعـة القومية ، كول اسرائيل ، فى نشرتها للانباء : « نقـل مراسلون من بيروت أن أعضاء فى المليشيات المسيحية قـد قتلوا مئات المقيمين فى مخيمات اللاجئين غربى المدينة » .

حسب المقربين منه ، فان رئيس الوزراء مناحم بيجن لم يعلم بالمجازر الا خلال بعـد الظهر وهـو يستمع فى الساعة الخامسة الى نشرة الانبـاء من اذاعـة الـ ب . ب سى ، البريطانية ، اى بعـد ٤٩ ساعة من بدئها . أكد مساعده ، المقـدم عزرييل نيفو Azriel Nevo هـو أيضا ،

انه لم يعلم بهـــا الا بعـد ظهر يوم السبت . كـذلك قـال دان مريدور Dan Mérdior ، أمين سر الحكومة أنه سمع عنها لاول مرة ، فى هذا اليوم ، عند الساعة الثالثة ظهرا من مراسل وكالة اليونايتدبرس فى اسرائيل . غير أن رفاييل ايتان أصر ، فى شهادته أمام لجنة التحقيق على أن مناحم بيجن كان قـد اتصل به فى يوم السبت هـذا عند التاسـعة صباحا لابلاغه عن الشكاوى الاميركية المتعلقة بالاحـداث التى جرت فى مستشفى غزة . وقـد أعلن مناحم بيجن أمام نفس لجنة التحقيق « انى لا أذكر هـذا الحـديث » .

فى الموقع كانت حيرة الضباط الاسرائيليين الكبار ظاهرة . وبعـد الظهر أمر الجنرال أمير دروري رجاله بعـدم الدخـول الى المخيمات . كان يخشى ان يترجم مراسلو الصحف والمصورون الذين توافـدوا من كل مكان ، وجـود الجنود الاسرائيليين داخـل شـاتيلا الى دليل على مشـاركة الاسرائيليين الفعلية فى المذبحـة .

أثبتت الروايات الرسمية الاولى التى نشرت فى اسرئيل وبشكل قاطع وجـود ارادة لنفى أية مسؤولية فى القضية . عند الظهر ، أجاب الناطـق العسكرى على أسئلة الصحافيين فى تل أبيب قائلا . « لا نعلم شيئا عن تلك المجازر المزعـومة . ليس هناك أى وجـود اسرائيلى فى المخيمات نفسها . لا نعلم ما يجرى فى هـذه المخيمات ونحاول توضيح الامور » . فى الساعة الثامنة مساء أشار صوت اسرائيل فى نشرته الاخبارية أنه « نقـلا عن مصادر عسكرية مأذونه — وذلك يعنى مثلما نعلم اليوم ، ان الناطق العسكرى الرسمى لم يكن يريد أن يسند له البيان مباشرة — فقـد دخـل الكتائبيون يوم امس الى طرف مخيمشـاتيلا . وبعـد عـودتهم نقـل الرجال الى قـوات جيش الدفاع الاسرائيلى أن معركة ضارية قـد دارت وأن هناك ضـحايا من الجانبين ، وقـد تدخـل الجيش لمنع الاعمال العـدائية » . وتبع ذلك مقطع البيان المخصص للتبرير الذاتى والموجـه الى السكان الاسرائيليين : « بدلا من أن نوجـه اللوم الى جيشنا ، فمن الافضل أن نهنئه على تدخـله ولو أنه جاء متأخرا ، اذ لم يكن عليه أن يتدخـل ، فبهـذا الموقف تجنبنـا خسائر أكبر .... » .

قبل منتصف الليل بقليل ، أصـدرت وزارة الخارجية بيانا ، قيل فيه لاول مرة أن « اسرائيل تدين المجزرة » ، قبل أن يضاف ، « لقـد حصل تبادل لاطـلاق النار بين القـوات الاسرائيلية ومتطرفين كتائبيين كانوا قـد ساهموا فى الاعمال الاجرامية » . كيف دخـل هـؤلاء المتطرفون الى المخيم ؟ من خطط لوصولهم ومن سمح لهم بالدخـول ؟ لا يوجـد أى جواب على هـذه الاسئلة .

فقــد شغل هــذا المساء بالاعلان عن المجازر بالعناوين الكبرى فى اذاعات وتلفزيونات العالم بأسره وقــد قال الصحفيون ما لم تقله وزارة الخارجية الاسرائيلية : لقــد جرت المجزرة تحت بصر جنود جيش الدفاع الاسرائيلى ولم يفعلوا شيئا .

وقــد سبب هــذا الاعلان انزعاجا بليغا فى صفوف الجالية اليهــودية فى الولايات المتحدة . خاصة وأنه منذ مساء يوم السبت ، ألقى الرئيس ريجان ضمنا جزءا كبيرا من مسؤولية المجزرة على اسرائيل . وقــد ذكر فى تصريح لم يسبق له مثيل فى قسوة اللهجة تجاه الحليف الاسرائيلى ، ان اسرائيل كانت قــد بررت دخــولها الى بيروت الغربية مؤكدة أنها « ستمنع حصول المــأساة التى وقعت الان » . من جهته ، أكد مسؤول كبير فى الحكومة الاميركية أن الولايات المتحدة ســتكون مندهشة للغاية لو أن اسرائيل لم تعلم بمــا كان يدور فى المخيمات » . وأضاف : « كانت السيطره الاسرائيلية واضحة على كافة أنحاء المنطقة التى دارت فيها المجازر » . لم يراع الاميركيون هــذه المره جانب حكومة بيجن . وقــد علق صحفى اسرائيلى على ذلك بقــوله : « ربما لانهم يشعرون أنهم يتحملون جزءا من المسؤولية . لانهم ، فى النهاية ، هم الذين اعطــوا الضــوء الاخضر لحرب لبنان وهــذه المجزرة هى نتيجة كان يمكن توقعها » .

ولقــد لاحظ موظفون أميركيون فى تل أبيب عندما علموا بالانباء الآتية من صبرا وشــاتيلا . أن الوسطاء اللبنانيين الذين شاركوا فى المفاوضــات عن جــلاء قــوات م. ت. ف. عن بيروت كانوا قــد عبروا عــدة مرات عن مخاوفهم من حصول مجزرة يقــوم بها الكتائبيون فى المستقبل وتستهدف سكان المخيمات . وقتها ، كان فيليب حبيب ومساعده موريس درايبر قــد اكدا لهم أنهما حصلا على « التزامات واضحة وحازمة » . من قبل ممثلى الحــكومة الاسرائيلية والجيش على أن مجزرة كهــذه لن تحصل . وأضاف هــؤلاء الدبلوماسيون : « نشعر الان أننا باعطاء ثقتنا للوعــود الاسرائيلية فقــد تركنا بالفعل فلسطينيى المخيمات الى مصيرهم » .

فى اليوم التالى للمجازر ، نقلت صحيفة هآرتس ملاحظة لدبلوماسى اميركى موظف فى تل أبيب : « لقــد وثقــوا (الفلسطينيون) بنا . ونحن وثقنا بكم . الان ، وقــد فات الاوان ، نفهم خطــأنا » . وقــد اتهم الرئيس ريجان ، بوضوح تام فى تصريح مكتوب فى نفس يوم السبت ، اسرائيل بأنها خرقت الاتفاقية المتعلقة بجــلاء م. ت. ف. من بيروت » بمنع « الجيش اللبنانى من السيطرة على الشطر الغربى من العاصمة .

على اثر ردود الفعل هـذه ، التقت قيادة الجيش الاسرائيلى فى بيروت ضباطا كبارا من الجيش اللبنانى لترتيب دخـول هـذا الاخير الى المخيمات والى نقاط أخرى كان الجيش الاسرائيلى قـد قرر الانسحاب منها ، بالتحديد شارع البنوك الكبير فى بيروت الغربية . لكن الجيش الاسرائيلى فى باقى المدينة تابع تسيير أموره ، كما لو ان شيئا لم يحصل . وقـد أوقف خـلال النهار ما يقارب الالفشخص اقتادهم الى مركز الفرز فى الملعب المجـاور لصنبرا . على مدخـل هـذا الملعب الضخم المدمر كانت تنوح نساء أوقفها على مسافة كافية حاجز للجنود الاسرائيليين يساندهم عـدد من ناقـلات القوات المدرعة م-١١٣ M 113 . فى الداخـل ، كانت تلمح مجموعات من الرجال الجالسين على الارض بصمت ، منتظرين التحقيقات والاستجوابات . وفى الخارج ، كان صحفى يحرر المقال الذى كان سيرسله فى المساء ذاته الى جريدته ، بعيدا ، بعيدا جـدا ، عن لبنان . ومما قرأنا فيه : « أنا بالقرب من المدينة الرياضية فى بيروت هنا ابتدأت هـذه الحرب اللبنانية الشنيعة بالقصف الجـوى الاسرائيلى عند ظهيرة يوم ٤ حزيران — يونيو ١٩٨٢ . وقـد بلغت هـذه الحرب قمتها البشعة فى مخيمى صبرا وشـاتيلا الواقعين على بعـد خطـوتين من هنا . وخـلال هـذين اليومين ، من يوم ١٦ الى يوم ١٨ أيلول — سبتمبر ، اكتملت الحلقة . لقـد كانت البداية هـذا الشـعار المزعوم « السلام للجليل » والان ينتهى كل شىء باحـدى اشنع وأفظـع الجرائم Pogromes (*) منذ الحرب العالمية الثانية » .

(*) استعمل محرر الصحيفة هنا كلمة Pogromes الخاصة بالجرائم المرتكبة ضـد اليهود والتى كانت تتم فى جـو التحركات التى نظمتها السلطات الروسية على أيام القيصر . وجاء فى القاموس الفرنسى أن أصل الكلمـة روسى . (المترجم) .

الاحـــد ١٩ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٢

الجوييم* يقتلون جوييم آخرين ، ويوجهون التهمة الى اليهود :

صباح يوم الاحد ، كانت جثث الضحايا مازالت راقدة فى شوارع وتحت أنقاض صبرا وشاتيلا . وكانت تفوح رائحة نتنة الى مدى بضعة مئـات من الامتار حول المخيمات . كانت بعض الجثث هناك منذ يوم الخميس تحت شمس حارقة ، تابعت فرق الانقاذ من الصليب الاحمر وجنود لبنانيون سعيهم مكتشفين تحت الدمار وفى ساحات المنازل أجسادا جديدة لرجال ، ونساء ، وشيوخ ، وأطفال . كانوا يلبسون للوقاية كمامات سوداء ضد الغازات وقفـازات من المطاط وكانوا يصفون أجساد الضحايا على أرض بور بالقرب من مدخل شاتيلا

جمعت الجثث بالقرب من حفرة ضخمة . البطانيات كانت تغطى بعضها بينما بقيت أخرى عارية . كان الكثير منها مشوها لدرجة انها اصبحت جثثـا ضائعة المعالم . حول ساقى احداها ، كان الحبل الذى استعمل لتكبيلهـا مازال موجودا . من حين الى آخر كانت تظهر سيارة اسعاف تابعة للصليب الاحمر ، وتسحب منها حمولة جديدة من الجثث . سيدة فلسطينية شابة ، فى الشهور الاخيرة من حملها ، كانت تذهب من جثة الى أخرى ، على امـل التعرف على زوجها أو على أى فرد آخر من أسرتها . كل الذين إلتقى بهـم يعطون الانطباع بأنهم خارجون من الجحيم . كان بعضهم يبكى وآخـرون يرتجفون بكل أعضائهم ، وآخرون كالمختلين يمشون كالشخوص الآلية . وبعد حين ارتفعت الصرخات،الصيحات الهستيرية لامهات عثرن على أبنائهن ، لنساء تعرفن على أزواجهن ، لاولاد وجدوا أجساد ذويهم وانهاروا عليهـا . عندما كان يتم التعرف على جثة ، كانت تسـحب وتوضـع بكيس كبير من النيلون . اصطفت فرق الانقاذ لتناقل الجثث التى تم التعرف عليها حتى حفرة ضخمة . حينئذ توضع جثة جنب الاخرى . وكان موظفو الصليب الاحمر ، كلما طالت صفوف الجثث ، يكتبون بكل هدوء الاسماء على سجلات . أحيانا ، كانت بعض الاسر تطالب باسترجاع جثة الميت لدفنها على حـدة ، حسب الطقوس الدينية ، فى المقبرة الاسلامية المجاورة .

---

* جوييم : كلمة عبرية تعنى غير اليهود

أصبح الصحفيون كثيرين واخذوا يجوبون المخيمات من جهة الى أخرى . بالقرب من عمارة كانت طفلة فى الحادية عشرة من عمرها وكانت نظرات أمها تائهة ، لايطرف جفناها . بقيت الطفلة وأمها وحدهما على قيد الحياة من أسرة تتكون من ثمانية أعضاء . حولهما ، لايوجد حى يرزق . وتمتمت الطفلة بهدوء : «لقد مات كل الجيران » .

عند المساء ، كانت المخيمات تفرغ . وفضل قسم كبير من السكان المذعورين العيش كل يوم بيومه والنوم فى أحياء بيروت المختلفة ، فى الحدائق العامة أو فى المدارس . كانت عناصر الفرق الطبية وفرق الانقاذ المسؤولة عن التنقيب والدفن الجماعى ، تابعة للجيش اللبنانى وهيئات وروابطمختلفة، منها الصليب الاحمر الدولى ، والصليب الاحمر اللبنانى ، والدفاع المدنى وحتى الكشافة . وكان التنسيق بينهم محدودا وحتى معدوما . ولذلك اختلفت التقديرات حول عدد الضحايا من مصدر الى آخر وغالبا ما كانت تتناقض وقد لا نعلم أبدا العدد الصحيح . وقد يصعب التقدير الدقيق بسبب انتقال السكان غداة المجازر ، والاعداد الكبيرة من الجثث التى بقيت مطمورة تحت الانقاض أو فى المقابر الجماعية التى حفرها رجال الكتائب ، والاهم من هذا هو عدد المفقودين .

عند نهاية المجزرة ، تتالت الارقام . يوم ٢٢ أيلول — سبتمبر اشار بيان الصليب الاحمر الى العثور على ٦٦٣ جثة وقد تم دفنها . ويوم ١٤ تشرين الاول — أكتوبر تكلمت المجلة اليومية البيروتية **لوريان — لوجور** LÒrient **Le Jour** ، مستندة الى مصادر حكومية لبنانية عن ٧٦٢ جثة عثر عليها فى مخيمى صبرا وشاتيلا ، ووزعت الارقام كما يلى : ٢١٢ جثة مدفونة فى المقابر الجماعية ، لم تحدد هويتها ، و ٣٠٢ جثة تحددت هويتها وأحرقتها فرق الانقاذ المحلية ، ٢٤٨ جثة تحددت هويتها وقام بدفنها الصليب الاحمر الدولى . وحسب المصادر نفسها فقد « استرجعت حوالى ١٢٠٠ جثة من قبل ذويها الذين قاموا بدفنها بمقابر خاصة » ، وهذه الاشارة ترفع عدد الضحايا الى ٢٠٠٠

من الضرورى أن نضم الى عدد الالفى جثة التى تم العثور عليها والتى دفنت أو أحرقت ، ثلاث فئات أخرى من الضحايا :

— التى دفنها المهاجمون فى حفر جماعية خلال المجزرة . ومن المستحيل معرفة عددها الحقيقى لان السلطات اللبنانية منعت منعا باتا فتح هذه الحفر . فالتقديرات مترددة جدا وتدور حول بضع مئات من الضحايا .

ـــ التى لم يتم انتشالها من تحت الردم فيما يقارب ٢٠٠ منزل . فى هذه النقطة ايضا فان التقديرات من اصعب ما يكون . أشير الى بضع مئــات . فى اليوم الاول من التنقيب تم العثور على ١١٥ جثة ، وفى اليوم التالى على ٥٦ جثة ، لكن بعد بضعة أيام ، تم التخلى عن هذه الطريقة فى التنقيب بسبب حالة تحلل الجثث المدفونة .

ويرى كل الذين انكبوا على الموضوع ، أن التقديرات المتعلقة بالفئتين السابقتين والتى تشير الى بضع مئات من الضحايا ، هى تقديرات «معقولة»

ـــ بقيت اخيرا ، المجموعة الثالثة : المفقودون . لقــد قدرت وكـــالة الصحافة الفرنسية ، يوم ٢٣ أيلول ـــ سبتمبر عددهم بأكثر من ٢٠٠٠ وهم الذين اقتيدوا ، بواسطة الشاحنات عموما ، الى وجهة مجهولة . وليس الناجون وحدهم هم الذين يشهدون على ذلك . لقد أكد صحفى دنماركى انه رأى مساء الجمعة ١٧ أيلول ـــ سبتمبر ، شاحنة مكتظة بالناس تخرج من شاتيلا . وكتبت **النيويرك تايمز** عن مخاوف الاوساط الدبلوماسية الاميركية من أن يكون هؤلاء الاشخاص قد اقتيدوا نحو الجنوب كى يتم ذبحهم هناك . فحتى لو عاد بعض الاشخاص المعدودين أولا من بين المفقودين الى الظهور بعد حين فمن الممكن أن ننظر الى عدد بضع مئات من المفقودين بأنه معقول .

وعند دمج عدد الفئات الثلاثة ، نصل حسب هذه المعطيات الى رقم يقارب ٣٠٠٠ ضحية . من ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ رجل وامرأة وطفل قتلــوا خلال أربعين ساعة بين يوم ١٦ ، ١٧ ، ١٨ أيلول ـــ سبتمبر ١٩٨٢ ، من أصـــل ٢٠,٠٠٠ نسمة كانت تقطن المخيمين عشية المجزرة ، ومن ٣٠٢ جثة تعرفت عليها السلطات فى الاصل نجد أن ١٣٦ كانوا من اللبنانيين . ويعتقد بوجه عام أن مايقارب ربع الضحايا من اللبنانيين ، أما الباقى فكله من الفلسطينيين .

ابتداء من الساعة الحادية عشرة صباح يوم الاحــد ، أخــذ الجيش اللبنانى مواقعه فى صبرا وشاتيلا . لقد تقدم العسكريون اللبنانيون بأعـــداد كبيرة بواسطة ناقلات الجنود المدرعة والدبابات وسيطروا على كل منطقـــة المخيمات . عند وصولهم ، أجلى الجنود الاسرائيليون عن المنطقـــة كلهـــا وكذلك عن أبنية المدينة الرياضية حيث كان يتوالى ورود سكان المنطقـــة الذكور للتحقق من هوياتهم . غادر الجنود الاسرائيليون المكان والتزموا الصمت فجأة بينما كانوا ، هم أنفسهم وطوال هذه الحرب ، ينتهزون كل فرصـــة للتحدث الى الصحفيين . وكتب مراسل **معاريف** العسكرى : « لم يسبق أبداً خلال هذه الحرب انى رأيت جنودنا خرسانا . كانوا يستمعون الى أسئلتنا

ولايجيبون.وحده،همس ضابط صف: «ايلي جيفا كان على حق!» ومن المذكور أن ايلي جيفا هو هذا الضابط الاسرائيلي الشاب الذى اختار أن يستقيل من الجيش قبل ستة أسابيع معتبرا أن احتلال بيروت كان لابد أن يؤدى الى كارثة يرفض هو المساهمة فيها .

ضابط فى الجيش اللبنانى من موقعه على مدخل مخيم شاتيلا كان يوبخ صحفى اسرائيلى « كيف أمكنكم السماح للكتائب بالدخول وبارتكاب هذه المذبحة بينما كنا نضع ثقتنا فيكم متأكدين من أنكم ستحمون سكان بيروت ؟ ألا تخجلون؟ حتى فىالاحياء السكنية للمدينة كان الاسرائيليون يصطدمون بعلامات العداوة المتزايدة . وكان المارة يقولون للجنود الاسرائيليين « ليس لديكم عمل عندنا انصرفوا » .

طوال يوم الاحد ، تابعت الوحدات الاسرائيلية حملة التمشيط والتفتيش فى المدينة . وفى نفس الوقت سيطر الجيش الاسرائيلى على مركز الابحاث الفلسطينية وهو مؤسسة ذات طابع علمى .

فتش الجنود سائر الادوار وأخذوا فى سياراتهم وثائق ومراجع المركز بالقرب من ميدان سباق الخيل ، احتل مظليون اسرائيليون منزل ليلى خالد الواقع فى الدور السادس لاحدى المبانى . فتشوا كل الغرف وصادروا الصور والمستندات ومنها جواز سفرها . تاريخ ومكان الولادة : حيفا ، ١٩٤٦ .

وفى يوم الأحد ذاته ، نشرت الصحف اللبنانية على عدة صفحات صور الضحايا . كان عنوان « **لوريان لوجور** » و « **النهار** » **مشترك** : مجزرة مريبة فى صبرا وشاتيلا . « **السفير** » ، الصحيفة اليومية اليسارية : « مجازر فى المخيمات » . بينما حملت « **النداء** » ، جريدة الحزب الشيوعى ، على صفحتها الاولى العنوان التالى : « أسوأ مذابح صهيونية فى المخيمات » . وعلقت بكلمة واحدة فقط على صفحة كاملة من الصور ، كتبت بحروف سوداء كبيرة « النازيون » .

أما فيما يخص المسؤوليات ، فقد فضلت السلطات اللبنانية القاءها كليا على مليشيات الرائد حداد ، الحليف بلا قيد ولا شرط للاسرائيليين ، واحيانا حتى على اسرائيل مباشرة كونها كانت تشرف على المخيمات وكانت بالتالى مسؤولة عما جرى فيها . وعلى سبيل المثال ، برأ صائب سلام ، رئيس الوزراء السابق ، الكتائب من أية شبهة . وعندما سئل عن بزات القوات اللبنانية التى كان يرتديها أغلبية المسلحين خلال المجازر أعتبر أنها كانت من

باب التنكر لاثارة البلبلة بين المسلمين والمسيحيين . وقد كذب الشيخ أمين الجميل الذى أنتخب رئيسا جديدا للبنان بالاكثرية الساحقة يوم ٢١ ، كـذب أى اشتراك للكتائب أو للقوات اللبنانية بالمذبحة . وفى حديث خاص مع بعض الدبلوماسيين ، اتهم اسرائيل بالمسؤولية المباشرة عن المذابح .

لم يتهم أى اتجاه سياسى حزب الكتائب ، حتى لو اعترف سـياسيون كثيرون ، على انفراد بمعرفتهم للجناة .

المصالحة الوطنية التى تمناها الجميع من اجل انهاء الاحتلال الاسرائيلى وضمان استقلال ووحدة لبنان تصدرت أية اهتمامات أخرى . حتى جـورج حاوى ، الامين العام للحزب الشيوعى تجنب أية ادانة علنية للكتائب وهم خصومه التقليديون ، فوجه التهمة لاسرائيل التى ، حسب قوله ، تحـاول « اثارة اللبنانيين على بعضهم البعض » بتحميل القـوات اللبنانية المسؤولية كذلك برأت جريدة « **السفير** » حزب الكتائب وكتبت أن اللبنانيين يميلون الى أن يحملوا محمل الجد التكذيب الذى نشرته القوات اللبنانية . ولقـد فسر الكاتب اللبنانى المسيحى ، سمير فرنجية هذا الاجماع :

١ ــ أصبحت الوحدة الوطنية الاسلامية ــ المسيحية أكثر ضرورة من أى وقت ، ويجب القيام بكل شىء لتجنب الصدام الطائفى الذى قد تستثمره اسرائيل .

٢ ان الاتهام المباشر لحزب الكتائب قد يصفى مرشحهم للرئاسة ، أمين الجميل ، خلال الانتخابات المرتقبة فى الاسبوع المقبل . وهذا ما يفسح المجال تماما أمام مرشح اسرائيل كميل شمعون ، الذى قد يكون مستعدا ــ عكس أمين ــ لكى يوقع على الفور معاهدة سلم منفرد مع اسرائيل .

٣ ــ باتهام اسرائيل بالمجازر ، يصبح ضروريا ومن اللازم انسـحاب القوات الاسرائيلية من لبنان .

والحال ان الهدف ذا اولوية يجب أن يكون التخلص من الاسرائيليين .

اتفق اذن جميع اللبنانيين على ألا تتوصل لجنة التحقيق اللبنانية الخاصة بمجازر صبرا وشاتيلا برئاسة المدعى العام العسكرى أسعد جرمانوس والتى كانت ستباشر أعمالها يوم ١٨ تشرين الاول ــ أكتوبر ١٩٨٢ ، الا تتوصـل الى أيـة نتيجـة حقيقة . هل سـيتقدم الضـابط الكتائبى ميشـيل للادلاء بشهادته ؟ نشك فى ذلك . غير انه ، سلم بوضوح فى مقابلة أجراها

معه التليفزيون الاسرائيلى يوم ٣ تشرين الاول — أكتوبر ، أنه قتل بنفسه فلسطينيين فى صبرا وشاتيلا . ميشيل شاب يبلغ من العمر ٢٤ عاما ، مهندس وعضو فى حزب الكتائب منذ ٨ سنوات ، هو أحد مرافقى الياس حبيقة . وسأله مراسل التلفزيون الاسرائيلى دان شمامة Dan Scemama (وهو ابن المأسوف عليه اندريه شمامة ، مراسل « **الموند** » فى القدس) : « هل ساهمت بقتل النساء والاطفال فى صبرا وشاتيلا ؟ » الاجابة : « أى قتل للنساء ؟ يعملون قصة من لا شىء ! سأستمر ولسنوات فى قتل الفلسطينيين . أنا شخصيا قتلت منهم ١٥ فى المخيمات ولم أنته بعد . أكرههم . لا أعتبر نفسى قاتلا . سيقتل الالوف منهم فيما بعد وسيموت آخرون من الجوع الى أن يرحلوا من لبنان . لقد تمت هذه المقابلة فى ستوديوهات التلفزيون الاسرائيلى فى بيروت الشرقية . وميشيل ذو الشارب المتقن كان هادئا تماما . يتكلم الفرنسية جيدا . رافضا أن يذكر بدقة الوحدات التى ساهمت بالمذبحة أضاف : « انى سعيد بما حصل هناك . العالم مسؤول عما حصل . » وقد روى دان شامة أنه عند انتهاء الحلقة أضاف مخاطبه على انفراد : « الفلسطينى الصالح هو الفلسطينى الميت . أفضل ما قامت به اسرائيل هو مذبحة دير ياسين .

الاسرائيليون ، يعرفون أسماء الضباط الكتائبيين الذين دخلوا الى المخيمات بين يومى ١٦ و ١٨ أيلول — سبتمبر . وقد كتب مراسل « **معاريف** » العسكرى ، فى اليوم التالى لاكتشاف المجازر : « ليس فى نية اسرائيل الاعلان فى هذه الفترة عن الاسماء خشية من أن تعمق الهوة مع العناصر المسيحية فى لبنان . من جهتها ، قررت القوات اللبنانية ، هى أيضا تعيين « لجنة تحقيق » موازية للجنة الجيش اللبنانى ، وقد سلمت مسؤوليتها الى . . الياس حبيقة .

من العالم كله جاءت الاحتجاجات الساخطة ، احتجاجات تربط بدرجة أو بأخرى من الوضوح تلك المجازر بدخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية . وأبرزت كلها التناقض بين الاسباب المزعومة لهذا التدخل الجديد . هذه الاسباب التى من كان من شأنها رسميا « منع اراقة الدماء » ، مبرزة عواقبه فى مخيمات اللاجئين . فى اسرائيل ، يوم الاحد هذا ، انكبت ردود الفعل الرسمية كلها على هدف وحيد ، وان دلت أحيانا على بعض الاضطراب : تبرئة اسرائيل ودفع أية شبهة عنها . وقد نشرت السلطات المدنية والعسكرية ، الواحدة تلو الاخرى ، روايات عديدة متناقضة أحيانا ، وفيها مخالفات للصدق الى درجة أن الصحف انتقدتها فورا ، فحسب الناطقين الرسميين ،

ليس لاسرائيل أو للرائد حداد اية صلة بالمجازر . فى مرحلة أولى ، حاولوا اعطاء صورة نسبية عن الحدث . وقد بث التلفزيون مساء الاحد ، مقابلة مسجلة مسبقا مع رئيس هيئة الاركان ، رفاييل ايتان ، صرح فيها أن المجزرة لم تبدأ بالفعل الا مساء الجمعة . ومن جهة أخرى ، اضافت المصادر العسكرية أن « المهاجمين قد تسللوا من ثغرة فى الجانب الشرقى من المخيم حيث كان من المفروض أن يكون الجيش اللبنانى متحكما بالوضع » . وفى الحال ، نبه الصحفيون الاسرائيليون أن هذا البيان يتناقض تماما مع تصريحات آرييل شارون ورفاييل ايتان الصادرة فى صحف يوم الجمعة الماضى والقائلة بأن « مخيمات اللاجئين فى بيروت الغربية محاصرة تماما ومقفلة من قبل الجيش الاسرائيلى » . وتابعوا قائلين انه بالاضافة الى ذلك ، الكل يعلم اليوم ، والاثباتات وافرة ، ان رجال الميليشيا قد دخلوا الى المخيمات من جهة الجنوب بموافقة الجيش الاسرائيلى . حتى أن الحكومة كانت قد صدقت على القرار مساء يوم الخميس .

فى بداية السهرة ، عقد فى بيروت مؤتمر صحفى على الهواء ، بحضور الجنرال ايتان . وقد أنكر هذا الاخير اية مسؤولية فيما يخص المخالفات التى ارتكبها رجال الكتائب . وكان ايتان شديد التوتر عندما أجاب على سؤال صحفى أراد أن يعلم ان كان الاسرائيليون هم أنفسهم قد سمحوا للكتائب بدخول المخيمات : « نحن لا نصدر أوامر للكتائبيين ولسنا مسؤولين عنهم . الكتائبيون هم لبنانيون ، ويتصرفون كما يشاؤون ، وذهب الكتائبيون للقتال فى هذا المخيم هناك فى شاتيلا وفقا لمنهجهم ، اذا صح التعبير .. فى الحرب . لم نكن نعلم ماكان يجرى بالفعل . كان الظلام مخيما . وكنا نعتقد أن قتالا عاديا كان يدور . عندما أقبل الصباح ورأينا ما كان يحصل وما يمكن أن يحصل أيضا تدخلنا بسرعة وخرجوا » . (نقلته وكالة أسوشيتد برس Associated Press ثم هاجم رئيس أركان الجيش اللبنانى الذى رفض الدخول الى المخيمات ، وكذلك هاجم الامريكيين ، فحملهم مسؤولية المجازر : لم يكن هذا الموقف من الامريكيين جديدا . كان قد سبق ، خلال مقابلته التلفزيونية أن اتهمهم (بالتحديد الموفد الخاص موريس درابير) بعرقلة المساعى الرامية الى التنسيق بين الجيش الاسرائيلى والجيش اللبنانى ، مما منع هذا الاخير من الدخول الى المخيمات .

وفيما يخص هذا الموضوع ، فمن المعروف اليوم أن رئيس الوزراء اللبنانى شفيق الوزان ، كان قد رفض أى تعاون مع الجيش الاسرائيلى بعد دخوله الى بيروت الغربية .

فى اسرائيل ، كان هذا هو اليوم الثانى من الاحتفال بالعام الجديد . كل المصالح معطلة ، وتميزت الشوارع بهدوء نادر . لم يكن هناك صحف، وسببت الاخبار المذاعة كل ساعة اضطرابا وذهولا . بعد قليل بدأت التليفونات تدق عند مناضلى شالوم اخشاف ، حركة « السلام الان » . تقررت بسرعة مظاهرة تنطلق وقت الضحى امام منزل رئيس الوزراء للاحتجاج ضد سياسة ادت برايهم الى المجازر . كان عددهم ألفا : من العلماء ، والفنانين ، والمثقفين يرافقون مناضلى الحركة . وكان الى جانبهم ، عدد من نواب التحالف الشعبى وحتى عدد من رجال الدين . وقد لحق بمكان التجمع بعض الاهل من الذين فقدوا أبناءهم فى القتال خلال حرب لبنان . وكان المتظاهرون يرددون الشعارات التالية : « بيجن ارهابى » ، « بيجن قاتل » ، (بيروت = دير ياسين ١٩٨٢)[1] ، « فليسقط شارون ، جزار قبية »[2] . وقد جرى تفريق المظاهرة بعنف شديد أمام منزل بيجن ، بواسطة الهراوات والغازات المسيلة للدموع . وصرح الشاعر حاييم جورى Haim Gouri :

« انا لا ابكى بسبب الغازات ، ولكنى أبكى بسبب قتل الاطفال ، والنساء واسر بيروت » . كان بجواره الاستاذ ابشتاين Epstein رجل عجوز يبلغ من العمر ٨٠ عاما ، وقال مجهشا بالبكاء : « انى أخجل من هويتى الاسرائيلية بعد ما حدث فى بيروت . هذا يذكرنى اكثر فأكثر بالنازيين عندما ادخلوا الاوكرانيين الى الجيتو لذبح اليهود . لا أفهم كيف أمكن أن يحصل هذا على يدنا » .

بعد الظهر قامت مظاهرة عفوية أخرى ضمت مئات الاشخاص فى تل ابيب كان معظمهم من شباب حركة « السلام الان » وقد قمعتها الشرطة بشدة ايضا . وقد ترددت ثانية هنا الشعارات نفسها : « بيجن قاتل » و « لا دير

---

(١) قامت منظمة الارجون اليهودية المنشقة ، بتاريخ ٩ نيسان — ابريل ١٩٤٨ ، بذبح ٢٥٠ شخصا من قرية دير ياسين الواقعة غربى القدس . وقد ادان وقتها القياديون من اليهود ومن بينهم بن جوريون هذه المذبحة التى فاقت بشناعتها كل ما ارتكبه الكومندوس اليهود .

(٢) قبيه قرية فلسطينية فى الضفة الغربية ، تقع بالقرب من خط الهدنة الذى كان يفصل بين اسرائيل والاردن قبل حرب ١٩٦٧ . خلال الهجوم الذى قامت به ، ضد هذه القرية الفرقة ١٠١ بقيادة العقيد آرييل شارون فى ليل ١٤ الى ١٥ تشرين — أكتوبر ١٩٥٣ لقى ٦٩ شخصا من رجال ، ونساء ، وأطفال حتفهم . كانت هذه « عملية تأديبية » تالية لهجوم قامت به عناصر مسلحة قادمة من الاردن واسفر عن مقتل امرأة وطفليها فى قرية يهود yahoud

ياسين بعد الان » . وقد وزعت اللجنة المناوئة للحرب فى لبنان منشورا جاء فيه : « الذى احتل لبنان ، الذى أدخل جيش الدفاع الاسرائيلى الى بيروت الغربية ، الذى تحالف مع القتلة الكتائبيين وساعدهم بالدخول الى المخيمات — هو المسؤول عن مذبحة الفلسطينيين . الذى جرد سكان بيروت الغربية من السلاح وسلمهم لاعدائهم — هو المسؤول عن المذبحة . الذى قرر بأن « تبسط سيادة الامن فى بيروت » — هو المسؤول عن المذبحة التى ارتكبها « حراس » كان هو قد سلمهم المكان . بيجن وشارون وايتان مسؤولون كليا عن مقتل مئات الشيوخ ، والنساء والاطفال : (نقلته فى اليوم التالى جريدة هآرتس المؤرخة ٢٠ أيلول — سبتمبر) .

اذاعت نشرة الاخبار المتلفزة ، فى التاسعة مساء تصريحا لزعيم المعارضة العمالى شيمون بيريز ، الذى نادى باستقالة مناحم بيجن والجنرال شارون ، وبالانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية من بيروت الغربية . انتهى الاحتفال بالعام اليهودى الجديد . وعادت الحياة الى مجراها فى كل اسرائيل عند العاشرة مساء ، عقدت الحكومة جلسة استثنائية . وقد افتتح رئيس الوزراء الاجتماع مصرحا بأن القضية الموضوعة على جدول الاعمال ليست قضية مجازر بيروت انما « الهجوم المباشر » الذى تتعرض له دولة اسرائيل وشعبها . ومستخدما الحكمة القديمة التى تقول بأن أفضل وسيلة للدفاع هى الهجوم ، صرح أمام الوزراء المجتمعين : « الجوييم يقتلون جوييم آخرين ويوجهون التهمة الى اليهود ! »

عندها ، انتقد مردخاى زيبورى ، وزير المواصلات ، انتقد بعنف الاحداث التى وقعت منذ دخول الجيش الاسرائيلى الى بيروت الغربية . قال : « لقد تدخلنا لنمنع الفوضى . وكنا القوة العسكرية الوحيدة فى الميدان . لذا ، فمن وجهة نظر دولية ، مسؤولية ما حصل تعود الينا » . وقد طالب الوزير اتسحاق برمان Itzhak Berman ، الذى استقال بعد فترة قصيرة ، طالب بشدة بتكوين لجنة تحقيق . أجابه بيجن : « ان كونت اسرائيل لجنة تحقيق فسيترجم العالم ذلك بأنه اعتراف بالذنب . لم يرتكب الجيش الاسرائيلى مجازر . هذه قضية لبنانية داخلية » . أخيرا ، جعل رئيس الوزراء حكومته تعتمد بيانا يرفع عن اسرائيل أية مسؤولية . كذلك أمر بالسعي الى نشره على صفحة كاملة فى **النيويورك تايمز** وفى **الواشنطن بوست** ، وقد تكلفت هذه العملية حوالى ٥٤ الف دولار .

اننا ننقل هنا هذا التصريح باكمله وعنوانه : « مؤامرة دموية » :

« فى بداية العام الجديد ، قامت مؤامرة دموية حقيقية ضد الدولة اليهودية وحكومتها ، وضد جيش الدفاع الاسرائيلى . من مكان بعيد عن مواقع جيش الدفاع ، دخلت وحدة لبنانية الى مخيم اللاجئين حيث كان يختبىء مخـربون بهدف توقيفهم . وقد هاجمت هذه الوحدة السكان وأوقعت ضحايا عـديدة . نسجل هذا الفعل بحزن وأسف عميقين . وحال ما علم الجيش الاسرائيلى ما حصل فى مخيم شاتيلا ، أوقف قتل المدنيين الابرياء واجبر الوحدة اللبنانية على مغادرة المخيم .

وقد عبر السكان المدنيون أنفسهم وعلانية عن امتنانهم لعملية الانقـاذ هذه التى قامت بها قوات جيش الدفاع ، ان جميع الاتهامات سواء الصريحة او الضمنية ، والتى تحمل جيش الدفاع اى شكل من اشكال المسؤولية ، ليس لها اساس . فى الواقع أنه لولا تدخل القوات المسلحة الاسرائيلية لارتفع عدد الضحايا . من جهة اخرى ، فقد قام جيش الدفاع بعمليات استمرت يومين ضد الارهابيين فى بيروت الغربية ولم تسجل شكوى واحدة عن المسـاس بالسكان المدنيين .

بينما تبين ان الارهابيين قد انتهكوا اتفاقية الجلاء وابقوا فى بيروت الغربيه ليس فقط ۲۰۰۰ ارهابى ، بل ايضا مستودعات ضخمة للاسلحة منها الدبابات والمدافع ، والهاونات ، ومن جميع أنواع الذخائر بكميات هائلة . وكان كل ذلك بهدف متابعة عمليات الارهاب الدموية ضد اسرائيل وشعوب أخرى انطلاقا من بيروت الغربية .

رغم التشنيع الذى يلاقى صدى داخل اسرائيل ذاتها ، اننا نناشد الشعب الالتفاف حول حكومته المنتخبة التى تكافح لضمان الامن والسلام لاسرائيل وجميع سكانها . لن يلقى علينا أحد الدروس فى الاخلاق وفى احترام حياة الانسان . لقد أرشدتنا هذه القيم ، وسنتابع انطلاقا منها ، تدريب اجيال من المقاتلين فى اسرائيل » .

فى الوقت ذاته ، كانت صور منقولة عن المخيمات تذاع على شاشات التلفزيون فى العالم كله . وقد قدم الصحفى الامريكى جورج ويل G. Weil المشهور بانحيازه لاسرائيل ، قدم المجزرة تحت عنوان : « البيبى ــ يسار

الاسرائيلى(١) . وصرح يهود اميركيون ، قابلهم مراسل من التلفزيون الاسرائيلى ، انهم فى هذا اليوم يخجلون من كونهم يهودا . وقد كتبت الصحيفة الرئيسية للطائفة اليهودية فى بريطانيا ، « الجويش كرونكل » Jewish Chronicle مايلى : « بعد « تنظيف» مخيمات بيروت ، أصبح من المفروض الان أن تنظف اسرائيل من كل الذين سمحوا أو تورطوا فى هذا العمل المرعب الذى يخجلنا جميعا » .

---

(١) خلال الحرب العالمية الثانية ، فى منطقة بيبى — يار الاوكرانية قام النازيون بتصفية عشرات الالوف من اليهود .

الاثنين ٢٠ ايلول ـ سبتمبر

جريمة حرب فى بيروت :

اقامت وحدات من الجيش اللبنانى ، تعدادها ١٥٠٠ جندى وتدعمها حوالى اربعين ناقلة مدرعة ، « حزاما أمنيا » حول المخيمين . وطوال الليل ، تواصل انتشار الجنود اللبنانيين فى الاحياء المجاورة . يوم الاثنين صباحا ، لم يعد يشاهد فيها جندى اسرائيلى واحد .

كانت رائحة الموت تخيم على المخيمات حيث تواصل اكتشاف جثث أخرى . على مدخل شاتيلا كانت أكثر من مئة جثة متمددة على الارض مباشرة ، بالقرب من حفرتين جماعيتين . كانت جثث كثيرة فى حالة تحلل واصبح من المستحيل التعرف عليها . كانت الاجساد تنزل فى هذه الحفر الضخمة وتصف جنب بعضها البعض قبل أن تغطى بالجير . وتواصلت عملية الدفن لايام عديدة وكانت قد بدأت منذ أمس .

واصل اهالى المخيمات تجوالهم على أمل العثور على قريب مفقود او على شيء ذى قيمة دون التفات الى فرق الانقاذ . عجوز ، ترافقه امرأة وطفلان ، يفتش فى أنقاض ماكان بيتهم فى شاتيلا . كانت صيحانهم تخرق اذان رجال الانقاذ بقربهم . غير أنه ، لم يجرؤ أحدهم على التوجه اليه بكلمة . فى مكان آخر كان شاب قد عاد ليحاول العثور على جثة أخيه . خلف كل حائط كان يكتشف جثة جديدة . بالقرب من تخشيبة محطمة كان ثلاثة شبان يتهامسون وعندما اقترب صحفى ، قال له أحدهم : « لن نصدق أبدا بعد الان وعود الاخرين . لن نعود أبدا فنسلم مصيرنا وأمننا لاخرين . سنعالج الامور بأنفسنا » . سكان المخيم كانوا لايزالون تحت وطأة الصدمة من ساعات المجزرة الاربعين التى عاشوها . ويكفى أن ظهرت فى الضحى شاحنتان تحملان جنودا لبنانيين ببزات زرقاء وخضراء ، حتى عاد الذعر بين السكان . وانتشرت الشائعة فورا : « عاد مسلحو سعد حداد » . وسيطر الرعب على مئات الاشخاص الذين هربوا باتجاه الشمال . وبعد الظهر ، فقط عندما طمأنتهم السلطات ، قبلوا بالعودة الى المخيم .

فى بيروت الغربية ، امكن ملاحظة تحركات الانسحاب الاسرائيلى منـذ صباح يوم الاثنين هـذا فى عـدة مناطق ، من الوسط حتى الضواحى . وبعد ٩ أيام ، يوم ٢٩ أيلول ـ سبتمبر اخليت بيروت نهائيا بمـا فى ذلك المطار . تحت الضـغط الاميركى الشـديد ، وحلت مكانها قـوة الفصل المتعـددة الجنسيات . لكن ، والى أن تحقق ذلك ، فقـد تابع الاسرائيليون حملات التفتيش ، والكشف عن الهـويات ، والبحث عن الاسلحة وعن مستودعات الذخيرة . كانوا يجـولون الاحياء المختلفة ويطالبون السكان بواسـطة مكبرات الصوت ، بتسليمهم الاسلحة . وكانوا يجـوبون الشوارع بالناقلات العسكرية أو حتى السيارات المدنية المسجلة فى اسرائيل ، حاملين قـوائم بالاسماء . أحيانا كان يرافقهم المخبرون ، كانوا يمرون ، ببطء ومرات عـديدة امام مراكز ، واجهزة الصحافة ومنازل مسؤولى التنظيمات اليسارية اللبنانية الموالية للقضية الفلسطينية . وكانوا فى بعض الاوقات يتوقفـون للاستعلام ويسألون ان كان السيد فـلان موجودا ، وفى حالة الغياب كانوا يتركون موعـدا لبعـد ساعة . فى بعض السـيارات الاسرائيلية كان من الممـكن أحيانا ، مشاهدة مدنى معصوب العينين مقيد اليدين خلف الظهر . لم يعلم أحـد كم من اللبنانيين والفلسطينيين قـد أعتقل فى بيروت ، وكم منهم مازال معتقلا ، وكم منهم قـد أطلق سراحه وأين اقتيد الباقـون . وقـد تكلمت الصحف اللبنانية عن ألف أو ١٥٠٠ موقوف .

تابع الجنود الاسرائيليون تفريغ المكتبة الفنية لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت الغربية . كل المواد ، من كتب ووثائق كانت تكدس بلا ترتيب فى الشاحنات المؤجرة خصيصا . وكانت سيارة جيب ودبابة تؤمنان تغطية العملية . وقـد رد الضابط الاسرائيلى الذى كان يدير عملية « التعزيل » هـذه عندما استجوبه صحفى لبنانى أن « جنوده يأخـذون كل ما أرتئيه مفيدا .. وأضاف : « نحن شـعب الكتاب ونكن للكتب الاحترام الكبير » . وعندما لفت الصحفى نظرة الى أن هـذا مركز للابحاث ، اجابه الضابط : « هـذا مركز للتجسس لا يوجـد مثقفون فلسطينيون . ليس لديهم الا جـواسيس . والبرهان اننا عثرنا على ترجمات لحياة ضـباط اسرائيليين »(١) . ازدادت الحياة اليومية صعوبة فى بيروت الغربية التى لم

---

(١) لقـد تم تأسيس مركز الابحاث الفلسطينية فى بيروت عام ١٩٦٤ يتمتع مديره بالوضع الدبلوماسى وتحتوى مكتبته على كتب ومؤلفات كثيرة عن المجتمعين الفلسطينى والاسرائيلى ، كما تحتوى على مجموعة من المخطوطات التى لم يسبق نشرها . توجد فيهـا أيضـا سلسلة من الجرائد من أيام الانتداب البريطانى فى فلسطين . ومما ينشره المركز : مجلة « شئون فلسطينية » وعددا من الاعمال المتعلقـة بالقضية الفلسطينية .

يعـد يصلهـا التموين منذ خمسة ايام ، والتى أصبحت محرومة من الكهرباء ، وجزئيا من المـاء . وبالاضافة الى ذلك ، كان النقص فى المحروقات قـد اوشك أن يسبب تعطيل آخر مستشفى كبير كان وما زال يعمل وهو « المستشفى الاميركى »(*) .

فى اسرائيل ، صـدرت الصحف لاول مرة منذ الاعلان عن المجازر . وكان عنوان « **هآرتس** » الكبير على عرض الصـفحة : « جريمة حـرب فى بيروت » . بدأ مراسلها العسكرى ، زئيف شيف ، مقاله بالعبارات التالية : « لقـد ارتكبت جريمة حرب فى مخيمات اللاجئين فى بيروت . لقـد قتل الكتائبيون فيها المئات أو أكثر من الشيوخ ، والنساء ، والاطفال . وذلك ، بالضبط مثلما حصل خـلال المذابح التى ارتكبت ضـد اليهود . ليس حقيقيا اننا لم نعلم بهـذه الجريمة الا يوم السبت ظهرا بعـد وصول تقارير المراسلين الاجانب كما يزعم الناطقون الرسميون . انا نفسى قـد علمت بذلك يوم الجمعة صباحا وقـد احطت علمـا شخصية كبيرة أعرف أنها تحركت على الفـور . وهـذا يعنى ان المذبحة كانت قـد بدأت مساء يوم الخميس ، وما وصلنى يوم الجمعة مساء كان بالتأكيد معروفا لدى غيرى من قبـل » . وجاء فى افتتاحية نفس هذه الجريدة اليومية : « ان الظـروف التى احاطت بارتكاب هـذه الجريمة الشـنيعة تدل ، بشـكل غير قابل للجـدل على مسؤولية اسرائيل ، مسؤوليتها المباشرة واللامباشرة بمقتل مئات الاشـخاص العزل (...) وان اقالة قائد هيئة الاركان ، الجنرال رفاييل ايتان ، ووزير الدفاع السيد آريل شارون اللذين يساهمان فى المجموعة الصانعة للقرارات على أعلى المستويات على أن هذه الاقالة تشكل الشرط الاساسى والضرورى الذى يجب أن نسـعى اليه كى نستطيع أن نرفـع الرأس ، وان نجابه أنفسنا ، وان نقـابل نظرات العالم كله » .

وكتبت الجريدة العمالية « **دافار** » حاملة العنوان الكبير « عار بيروت » ، ما يلى : « أصبح صعبا أن يكون المرء اسرائيليا (...) لن نستطيع أن نغسل أنفسنا من هـذه الوصمة . ان ما فعله مرتكب دير ياسين ، وقائد عملية قبيه والرجل الذى خفف من حـكم دانيـل بنتو Daniel Pinto

---

(*) الكاتب يقصـد مستشفى الجامعة الامريكية فى بيروت . (المترجم).

(١) اشـارة الى قائد هيئة الاركان رفاييل ايتان الذى كان قـد خفف الحكم الصادر من المحكمة العسكرية بحق الضابط الاسرائيلى بنتو الذى كان قد قتل اثنين من المدنيين أثناء الهجوم الاسرائيلى على لبنان فى شهر آزار — مارس ١٩٧٨ .

يلطخ اليوم الشعب بأسره . وتحدثت مديرة جريدة « **هنة زمر** » Hanna Zemer » الحكومة الاثيمة التى جرت دولة اسرائيل الى الافلاس الاخلاقى » . وتابعت : « ان اجبرت الحكومة الجيش على البقاء فى بيروت ، وان بقى موصوما بدور الشرطى فى هذه المنطقة من العالم ، فلن نسلم فقط بطاقات الاحتياطيين بل سيأتى قريبا اليوم الذى سنسلم فيه هوياتنا ، لان هذه ليست هويتنا » . وكتبت « **عالهمشمار** » (لسان حال المابام) : « هذه المجزرة جعلت من حرب لبنان أكبر مصيبة تقع على الشعب اليهودى منذ المحرقة » . Holocauste حتى الصحف الشعبية المسائية الموالية عادة لاتجاهات الحكومة بما يخص العلاقات مع العرب ، لم تحاول الهروب من المسؤوليات وقد اعتبرت جريدتا « يديعوت أحرنوت » و « معاريف » أن اسرائيل تتحمل ، بشكل غير مباشر، شيئا من المسؤولية عن المجزرة .

بدا الانزعاج واضحا داخل الاحزاب اليمينية وقد امكن سماع عدد من قياديهم يرددون : « من الافضل الا نتكلم ، قد يضر هذا باسرائيل » . وصرح آخرون كما لو كانوا يريدون تبرئة انفسهم : « لكن ، ليست هذه هى المرة الاولى التى تقع فيها مجزرة فى الشرق الاوسط » ! لكن ردود الفعل هذه لم تفلح فى تلجيم سخط الاوساط المختلفة . وقد نشرت الصحف فى يوم السبت(*) هذا وفى الايام التالية مقالات وتصريحات لم يحدث الا نادرا أن بلغت هذا الحد من العنف . وقد كتب اسرائيل زمير Israel Zamir ابن اسحاق بشفيس — سنجر Isaac Bachevis - Singer الحائز على جائزة نوبل » . حتى هذا اليوم كانت كلمة المذبحة Pogrome تعنى مفهوما يعنينا مباشرة ، نحن اليهود ، كضحايا . وقد « وسع » رئيس الحكومة بيجن مضمون هذه العبارة : لقد كان هناك مدلول لبيبى — يار Baby-Yar ، وليديس Lidice ، وأورادور Oradour واصبحت اليوم تدل أيضا على صبرا وشاتيلا » . ومما جاء فى مقال لآموس كنان Amos Kennan الكاتب المتعاون مع صحيفة « يديعوت أحرنوت » : « لقد فقدت ، بضربة واحدة ، يا سيد بيجن ملايين الاطفال اليهود الذين كانوا يشكلون كل ثروتك فى هذا العالم . اطفال أوشفيتس Auschhwitz الملايين لم يعودوا ملكك . لقد بعتهم دون ربح » .

(*) هكذا ورد فى النص الفرنسى ويبدو أن هذا خطأ لان الصحف لم تصدر فى اسرائيل الا يوم الاثنين كما جاء من قبل .

وردا على وزير الداخلية يوسف بورج الذى كان قد صاح : « لقد قتل مسيحيون اناسا مسلمين ، أين مسؤولية اليهود » ؟ كتب الروائى ازهار سميلانسكى Izhar Smilanski ساخرا : « لقد أطلقوا أسودا نجياعا داخل الحلبة . وقامت الاسود بالتهام الناس . اذن الاسود هى الجانية ! هى بعينها التى التهمت ، اليس كذلك ؟ من كان يستطيع أن يتنبأ عندما فتحنا لهم الباب وسمحنا لهم بالدخول ، بأن هذه الاسود قد تلتهم الآدميين » ؟ وبلهجة أخرى ، جاء فى مقال للكاتب أموس اوز Amos Oz « الذى يدعو سفاح يوركشاير لقضاء ليلتين فى ملجأ لليتامى الشابات لايسعه بعد ذلك ، وهو يشاهد أكوام الجثث الادعاء أنه كان قد اتفق معه على أن يكتفى بغسل رؤوس الاطفال » .

وقد أدخل المراسل العسكرى « **لمعاريف** » يعقوب أيرتر Yaakov Erez فى مقاله عددا من أبيات الشعر المشهورة للشاعر القومى اليهودى حاييم بهمان بياليك Haim Nahman Bialik كتبها بعد المجزرة التى ارتكبت ضد اليهود فى كشينيف Kichinev عام ١٩٠٣ ، واصفا المشهد الذى رآه بنفسه غداة المذبحة . ى اسرائيل الكل يتعلم هذه القصيدة (فى مدينة المجزرة) عن ظهر قلب فى المدرسة . وقد عاد جابى زوهار Gaby Zohar ، مراسل صوت اسرائيل مضطربا من زيارته للمخيمات وصرح : « ان تكونت أم لم تتكون لجنة للتحقيق ، يبقى اننا كنا نعلم بحدوث المجزرة وكنا قادرين على وقفها ولم نفعل » .

وفى الصحف ، امتلا ركن « بريد القراء » بالرسائل . كتب ، مثلا ، الاحتياطى الشاب ، أفيشاى جروسمان Avichai Grossman « جعلتنى أكوام الجثث فى مخيمات بيروت ، أخجل لاول مرة من انتمائى للجيش الاسرائيلى » (**عالهمشمار**) . وكتب بنى بارباش فى « **هاعولام هازيه** » : يوجد ، على رأس جيشنا ، رجل سمعته أنا شخصيا وعدة مرات يقول : « ان العربى الصالح هو العربى الميت » . وصرح الكاتب الروائى اسحاق أورباز Itzhak Orpaz بما يلى : « لن أغفر لكم أبدا أنكم خربتم بلدا كنت أحبه من خلال فجور هائل فى الحماقة والموت . ان أبى وأمى اللذين فقدتهما فى المحرقة ، قتلا للمرة الثانية فى مخيمى صبرا وشاتيلا » .

وقال المؤرخ والاستاذ فى العلوم السياسية زئيف سترنهل Zeev Sternhell المكلف بالتدريس فى جامعة القدس العبرية وعضو حزب العدل ، قال أمام طلابه : « ان الحكومة والمجتمع الاسرائيلى

يتحملان مسؤولية اخلاقية وسياسية ، وقانونية فى جريمة الحرب التى حدثت فى بيروت . ان لم نرتكبها بأنفسنا ، فلا جدال بأننا قد سمحنا بها » .

ردود الفعل هذه ليست من طرف اناس هامشيين . لقد أجرى استطلاع للرأى بطريقة جلوب على عينة من ١٧٠٠ شخص وتبين أن ٦٠٪ من الاسرائيليين يعتبرون ان الحكومة مسؤولة بطريقة أو بأخرى عن مجازر بيروت ، بينما اعتبر ٨٠٪ منهم أن حرب لبنان قد أضرت باسرائيل (نشر فى « **هآرتس** » بتاريخ ٢٣ ايلول — سبتمبر) .

فى اليوم التالى ، الثلاثاء ، عقدت الحكومة اجتماعها الاسبوعى . لم تطرح اية مناقشة جديدة حول المذابح . قضية الانسحاب من بيروت هى المدرجة على جدول الاعمال وقد صرح آرييل شارون بأنه يجب البقاء فى المدينة لعدة أسابيع وقال : « بيروت هى مفتاح الشمال » . فقاطعه الوزير زيبورى Zippori قائلا « ماذا تعنى بالشمال ؟ أستقوم بالاستيلاء على طرابلس ؟ على زحلة ؟

وطالب زيبورى باخلاء بيروت فى أسرع وقت . وقد عبر عن نفس الاتجاه السوزراء أوزان (من حزب تامى) Ouzan : TAMI وبن بورات (من حزب تلم) Ben Porat : TELEM وبرمان Berman (من الليبراليين) وهامر Hamer (من الحزب القومى الدينى) . ولفتوا الانتباه الى أن الدخول الى بيروت الغربية والمجازر على وجه الخصوص قد شوهت بدرجة خطيرة الصورة الاسرائيلية فى العالم ، بما فى ذلك بين يهود المهجر diaspora . أما فيما يتعلق بتعيين لجنة تحقيق قانونية ، فقد خضعت الحكومة لمعارضة بيجن غير القابلة للجدل .

. . . .

دعيت الكنيست فى اليوم التالى الى جلسة استثنائية . ألقى فيها شيمون بيريز رئيس حزب العمل ، احد اكبر خطاباته وصاح : « لقد اصبحت الامة اليهودية أمام ضميرها . لدينا الشعور انه بدأ من خلال كتل الاسمنت التى قطعت أجساد الاطفال ، والنساء والشيوخ هذه ، انهيار أخلاقى . ان الارض تهتز تحت أرجلنا (. . .) . يتباهى السيد بيجن بأن حرب لبنان قد محت الصدمة النفسية التى خلفتها حرب الغفران . يؤسفنى القول انه استبدلها بنفسه بصدمة أخرى » . الخطيب التالى كان أمنون روبنشتاين Amnon Rubinstein وهو رجل قانون ونائب من حزب شينوى Shinoui وقد طالب بتشكيل لجنة

تحقيق . وتعجب فى خطابه من انه « عندما يقصف السوريون زحلة ، وهـذا فعل وحشى من جميع النواحى ، يصرح رئيس وزرائنا أمام لجنة الشؤون الخارجية والدفاع بتاريخ ٨ أيار ــ مايو ١٩٨١ » : ان ما يفعلونه اليـوم ضـد مسيحيى لبنان هو بالضبط ما فعلوه ضد اليهود فى أوروبـا خـلال الاربعينـات . لاأكثر ولا أقـل . لكن عندما يذبح الاطفال أمام أهلهم وبين اذرع أمهاتهم ، وعندما نأتى اجسادهم الممزقة على الارض ، وعندما ترتكب الانتهاكات الشنيعة التى لا يمكن وصفها ، وعندما يأتون بالناس الى حافـة الحفـر ، كما كان يفعل النازيون ، ويضربونهم بالرصاص ثم يدفنـونهم بالجرافات ، لا نجـد حينئذ تشبيهات السيد بيجن بأفعال النازيين » .

وعندما ذكره رئيس المجلس بانتهاء فترته الكـلامية ، أجـابه أمنـون روبنشتاين : « سيدى الرئيس ، امنحنى بعـد ثانية واحـدة لكل طفل مات فى المخيمات » . وانطلق من جـديد : « أننا ننتمى الى شـعب عرف الاضطهاد أكثر من اى شـعب آخر فى العالم ، لقـد عرفنا الاغتيالات والعنصرية ، والتعـذيب . وعلينا أن نكون أكثر من غيرنا متيقظين حتى لا تتملكنا النزعات التى ادت الى هـذا الاضطهاد . وعلينا أن نكون اشـد أعـداء العنصرية . لا يحـق لنـا التمييز بين دم البعض ودم الآخرين . وبالنسبة لنـا فان الاطفال الذين يموتون لا فرق بينهم » .

عندئذ صـعد الوزير آريل شارون الى المنصة وأكد بحسم : « ان اية محاولة للربط بطريقة ما بين هـذه القضية المؤسفة وجيشنا ، بمـا فى ذلك المطالبة بتشكيل لجنة تحقيق ، هى ظلم يرتكب ضـد جيش الدفاع ، وبحق مسؤوليه والشعب الاسرائيلى كله » . ثم التفت نحـو معارضية وقال : « يا سيد بيريز ، عندما كنت أنت وزيرا للدفاع أين كـان ضـباط الجيش الاسرائيلى أثناء مجزرة تل الزعتر ؟ انى اتحـداك بأن تتكلم » ! وقـد كذب المسؤول العمالى قطعا هـذه التلميحات . بعـد عـدة أيام روى الجنرال الاحتياطى بنيامين بن اليعازر Benjamin Ben Eliezer ، أن ثلاثة ضباط اسرائيليين ، هـو من بينهم ، كانوا قـد زاروا الكتائبيين خـلال صيف ١٩٧٦ ، لكنه أكـد أنه عاد الى اسرائيل قبل ١٥ يوما من مجـزرة تل الزعتر « **يديعوت أحرنوت** » ، ٢٤ أيلول ــ سبتمبر ١٩٨٢ .

عندما اقترب مناحم بيجن من المنصة ، كان التوتر قد بلغ ذروته ، قال : « اسرائيل ليست مذنبة . جيش الدفاع الاسرائيلى ليس مذنبا . لقد وقعت مصيبة وقـد وقعت من قبل مصائب اخرى فى اسرائيل وليس فقط فى لبنان . اتريدون أن القى عليكم قائمة بها » ؟

فى اسرائيل تواصلت التظاهرات والمسيرات ومما كانت تطالب به ، تشكيل لجنة للتحقيق ، والتجمعات العفوية لم تعد تحصى . كانوا يوقعون العرائض . وقد صرح طالب بالحقوق : « لقد حول عرفات شعبا مطرودا ومنبوذا الى أمة محترمة وذات شعبية ، بينما حول بيجن أمة محترمة وذات شعبية الى شعب مطرود ومنبوذ . لقد وحد عرفات شعبه بينما قسم بيجن شعبه . وقد نجح عرفات بتحويل الهزيمة الى انتصار بينما نجح بيجن بتحويل الانتصار الى هزيمة » . وأمام الكنيس الكبير فى القدس طالب متظاهرون اكليركيون باستقالة الحكومة . وشرح أحدهم : « حتى الان كان العلمانيون وحدهم يتظاهرون احتجاجا على الدم المهدور فى لبنان وقد التزم الاكليركيون بالصمت . لكن علم الاخلاق ليس احتكارا على العلمانيين . نحن أيضا نحتج » . اخيرا ، وتحت ضغط الرأى العام المتزايد يوما بعد يوم والذى ادى الى تظاهره بلغت أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ شخص فى تل أبيب بتاريخ ٢٥ أيلول — سبتمبر ، وكانت اضخم مظاهرة تشهدها دولة اسرائيل منذ تأسيسها ، قبلت الحكومة يوم ٢٨ ، بتعيين لجنة للتحقيق .

وفى أوساط الجيش كانوا يفضلون التزام الصمت وقد اجتمعت هيئة الاركان العامة فى الصباح . وحسب أقوال أحد المشاركين كان قد تكلم لمراسل صحيفة « **دافار** » ، فلم يكرس قائد هيئة الاركان الا خمس دقائق « لاحداث صبرا وشاتيلا » . لم يدل أحد بأدنى ملاحظة ، كما لم يطرح أحد أى سؤال . ولم يطلب أحد اذنا للكلام .

فى نفس هذه اللحظة ، كانت امراة تتابع تجوالها المستمر بالقرب من حفرة جماعية فى مخيم شاتيلا . مات ١٣ عضوا من أسرتها ومن بينهم رضيعها البالغ من العمر ٤ شهور . توقفت ، جلست على الارض ، ذرت ترابا على رأسها وصاحت : « والى اين أذهب الان » ؟

رقم الايداع ١٩١٣ / ٨٤
الترقيم الدولى ٠ ــ ٨ ــ ١٣٦٥ ــ ٩٧٧


Bibliotheca Alexandrina
06787793